مفهومُ العدلِ عندَ الإمامِ الغزاليّ رحمه الله تعالى من خلالِ كتابهِ: (التِّبرُ المسبوكُ في نصيحةِ الملوكِ) [1]

مهنَّد جمال السَّقَّا[2]، خالد حمدي عبد الكريم[3]

الملخّص

تتمثَّلُ مشكلةُ هذا البحث الرَّئيسة في أنَّه مع كثرةِ الدِّراسات المؤلَّفة حول الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى، إلَّا أنَّ هناكَ كثيرًا من المفاهيمِ العظيمةِ لم تؤصَّل بعدُ في رسائلَ علميَّة؛ ومنها: [العدل] مع شدَّة الحاجة إليه في زماننا؛ ممَّا استدعى تقديمَ دراسةٍ علميَّةٍ منهجيَّةٍ تبيّن مفهومَ العدلِ عند الإمامِ الغزاليّ. ويهدفُ هذا البحث إلى بيانِ الأمور الآتية عند الإمام الغزاليّ: فضل العَدلِ، وإلقاء الضَّوءِ على أهمِيَّة العدلِ في ترسيخِ الحكم، ومعرفة أنواعِ العدلِ، والوقوفِ على قواعدِ العدلِ والإنصافِ. وقد اتَّبع الباحث في ذلك المنهجَ الوصفيَّ التَّحليليَّ. ومن أهمِّ النَّتائج الَّتي توصَّل إليها الباحث أنَّ العاملَ الأساسَ عند الإمام الغزاليّ في نموّ الدَّولة وازدهارها هو العدلُ؛ فبإقامته يتحقَّقُ كلُّ خيرٍ، وبفقدهِ تحلُّ الآفاتُ والشُّرور، وتخرب الأمم والبلدان، ويشقى الإنسان، وأنَّ قواعد العدل والإنصاف عنده هي: معرفةُ الحاكمِ قدْرَ الولايةِ وخطورةَ أمرها، والتَّقرُّبُ من العُلماءِ الصَّالحينَ النَّاصحينَ وسماع آرائهم، ورفعُ ظلمِ الولاةِ عن الشَّعب، وعدمُ التَّكبرِ والغضبِ، وعدمُ الرِّضا للرَّعيَّة ما لا يرضاهُ لنفسهِ، وقضاءُ حوائجِ النَّاسِ بسُرعةٍ، وعدمُ تحقيرِ أربابِ الحوائجِ، وعدمُ الاشتغالِ بالشَّهوات، واستعمالُ اللُّطفِ والرِّفقِ في الأمرِ كلِّه، والاجتهادُ في طلبِ رضاءِ الرَّعيَّة بموافقة الشَّرع. وفي النِّهاية اقترحَ الباحثُ إقامةَ دوراتٍ تثقيفيَّةٍ وبرامجَ حواريَّةٍ حولَ أعلامِ الفكرِ الإسلاميّ الَّذين تعدَّدت جوانبُ نبوغهم وتنوَّعت ثقافاتُهم؛ وفي طليعتهم الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى، وتحقيقَ كتاب: (التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك) للإمام الغزاليّ في دراسةٍ علميَّةٍ أكاديميَّةٍ.

الكلمات المفتاحية: المفهوم-العدل-الغزاليُّ-التِّبر المسبوك-نصيحة الملوك.

[1] هذا البحث مستلٌّ من رسالة ماجستير في قسم الفقه الإسلامي، كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة المدينة العالميَّة.

[2] طالب ماجستير، قسم الفقه الإسلامي، كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة المدينة العالميَّة.homssyria84@gmail.com

[3] أستاذ مشارك، قسم الفقه الإسلامي وأصوله، كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة المدينة العالميَّة.khaled.hamdy@mediu.my

The concept of justice in Imam Al-Ghazali's book

(Altibr Almasbuk Fi Nasihat Almuluk)

Mohannad Jamal Alsakka

Abstract

The major focal point of this research is that in spite of there are a lot of studies about Imam Al-Ghazali, there are a lot of great concepts which do not write in thesis such as justice although it is an important matter which we need to know a lot about it in our time. This divergence necessitated embarking upon a scientific methodological study showing the concept of justice of Imam Al-Ghazali. This research seeks to show many matters of Imam Al-Ghazali like the virtue of justice and shedding light on the importance of governance consolidation, knowing the types of justice and clarification the rules of justice and equity. The researcher followed an analytical-descriptive approach. The most important findings and inferences the researcher attained from this work that, for Imam Al-Ghazali, justice is the basis of progress and prosperity of the state. The establishment of justice will achieve all the best and the lost of justice will lead to scourges and evils and the destruction of nations and countries and people will get tired. The rules of justice and equity for Imam Al-Ghazali are the ruler's knowledge about the importance of ruling and seriousness of this matter and being close to righteous scholars who give advices and hearing their opinions, helping people to get rid of the injustice of governors, not being arrogant or angry, refusing for parish what he refuses for himself, the fast fulfillment for the needs of people, not being engaged in lusts, the using of kindness and leniency in all of his matters and the striving for the satisfaction of parish with the consent of religion. In conclusion, the researcher suggested the establishment of educational courses and discussion programmes about the famous islamic thinkers who had different aspects of talents and cultures like Imam Al-ghazali. He also suggested for us to edit the book (Altibr Almasbuk Fi Nasihat Almuluk) for Al-Ghazali in an academic scientific study.

Keywords: Concept, Justice, Al-Ghazali, Altibr Almasbuk, Nasihat Almuluk

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدُ لله الآمرِ بالعدلِ والنَّاهي عن الظُّلمِ والهادي للَّتي هي أقومُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المرسلينَ، سيّدنا محمَّدٍ الصَّادقِ الوعدِ الأمينِ، وعلى آلهِ الطَّاهرينَ الصَّادقينَ، وصحَابتهِ الغرِّ الميامين، ومَن اهتدى بهديهم إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ الإمامَ الغزاليَّ رحمه الله تعالى علمٌ من أعلامِ الأمَّةِ الإسلاميَّة، ومَعْلَمٌ زاخرٌ مِن معالمِها، امتازَ بالعلمِ بالوافرِ والفكرِ الرَّاشد، وكتبَ في فُنونٍ عدَّة، وسطَّرَ كتبًا مُتعدِّدةً، فسارتْ مؤلَّفاته مسيرَ الشَّمس، وأبهرتْ الخاصَّ والعامَّ؛ وذاك لما حوتهُ من شواردِ الفَرائد، وزوائدِ الفَوائد.

ومِن بين التُّراثِ العظيمِ الَّذي تركهُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى كتابَ: (**التِبرُ**[4] **المسبوكُ**[5] **في نصيحةِ الملوكِ**)، فهو نبراسٌ حَقيقيٌّ للأمَّة، رسمَ من خلالهِ الخطوطَ العريضةَ والتَّفاصيلَ الدَّقيقةَ لأهمِّيَّة التَّعاملِ بالعدلِ والقسطِ بين العباد، وقدَّم نصائحَ رائعةً للملوكِ والسَّلاطين، تُرشدُ للعدلِ والإنصافِ وتُبعد عن الجورِ والإجحاف، وفي سبيلِ ذلك أكثرَ من استخدامِ الحكايات والحكم والأمثال؛ لأخذِ العبرة، والاقتداءِ بأصحاب الخبرة، الَّذين عاشوا في قديم الزَّمان؛ فبنوا وشادوا البنيان، وأرخى العدل ذيوله فوقهم؛ فازدهرت مملكتهم؛ وصاغ كلَّ ذلك بأسلوبٍ سهلِ العبارة، غزيرِ المعنى؛ ممَّا أعطاهُ قيمةً علميَّةً كبيرةً؛ علاوةً عن كونه من الكتب النَّفيسةِ في بابه، والرَّائدةِ في موضوعه؛ لذا اخترته للبحثِ والدِّراسة، ووضعتُ له هذا العنوان: "**مفهومُ العدلِ عند الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى من خلال كتابه: التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**"؛ وغنيٌّ عن البيانِ أنَّه عندما أخصِّصُ البحثَ بهذا الكتاب، فذاكَ لا يعني الاستغناءَ عن المؤلَّفات الأخرى بحالٍ من الأحوال؛ ولكنَّ المقصودَ أنَّه سيكونُ البَّوابةَ الأصليَّةَ الَّتي ألجُ من خلالها إلى الموضوعِ، وأرَكِّزُ عليها في عرض الأفكارِ ومناقشتها؛ لألقيَ الضَّوءَ على ذلك المفهوم، وما خبؤَ فيه من عبراتٍ نَفيسةٍ.

مشكلةُ البحث:

يمثِّلُ الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى مدرسةً إصلاحيَّةً عظيمةً، ويحظَى بشعبيَّةٍ قلَّ مَن وصل إليها من العلماءِ والمصلحينَ؛ ومع ذلك فلا زالَ –مع كثرة الدِّراسات المؤلَّفة حوله– يحتاجُ إلى مزيدِ بحثٍ وتعمُّقٍ؛ للوقوفِ

---

[4] **التِبر**: الذَّهب كلُّه، وقيل: هو من الذَّهب والفضَّة وجميع جواهر الأرض من النُّحاس والزُّجاج وغير ذلك ممَّا استُخرج من المعدن قبل صياغته واستعماله، وقيل: هو الذَّهب المكسور. ينظر: ابن منظور، جمال الدِّين محمَّد بن مكرَّم بن علي، **لسان العرب**، مادة: (تبر)، ج4، ص88.

[5] **المسبوكُ**: مفعولٌ من سبَك يسبُكُ ويسبِكُ، وسبكتُ الذَّهب سبكًا؛ أي: أذبتُه وخلَّصته من خبثه وأفرغته في قالب، والسَّبيكة: القطعة المستطيلة المذوَّبة منه. ينظر: الفيُّومي، أحمد بن محمَّد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير**، مادة: (سبك)، ج1، ص265.

على تلك المفاهيم العظيمة الَّتي كان يخطُّها الإمامُ رحمه الله؛ ومنها العدل، فهو لم يؤصَّل في رسالةٍ خاصَّةٍ تجلِّي حقيقته، وتحرِّرُ قواعده، وتجلي الغموضَ عنْ دقائقهِ مع شدَّة الحاجة إليه وخصوصًا في زماننا المعاصر؛ فلا بدَّ من بحثهِ ودراستهِ.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحثُ إلى تحقيقِ الأهدافِ الآتيةِ:

1. بيانُ فضلِ العَدلِ عندَ الإمامِ الغزاليّ.
2. إلقاءُ الضَّوءِ على أهمِّيَّة العدلِ في ترسيخِ الحكم عندَ الإمام الغزاليّ.
3. معرفةُ أنواعِ العدلِ عندَ الإمام الغزاليّ.
4. الوقوفُ على قواعدِ العدلِ والإنصافِ عندَ الإمام الغزاليّ.

أهمِّيَّة البحث:

1) تنبعُ أهمِّيَّةُ البحثِ من أهمِّيَّة الأصل الَّذي بني عليه، فكتابُ: (**التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**) يمتاز ببعدٍ واقعيٍّ إضافةً إلى بعدٍ تاريخيٍّ، فمعَ أنَّه قد أُلِّف في الزَّمن الماضي؛ لكنَّ أحكامه تصلحُ لواقعنا أكثر من أيِّ وقتٍ مضى؛ لأنَّ مجتمعَنا المعاصرَ يشبهُ في كثيرٍ من نواحيه مجتمعَ الإمامِ الغزاليّ رحمه الله تعالى، ونلاحظُ ذلك سواءً في كتاباته أو كتابات المؤرِّخينَ لعصرهِ، فلو أنَّ المشتغلينَ بالسِّياسةِ بوجهٍ عامٍّ والحكَّامَ بوجهٍ خاصٍّ قرؤوهُ وعملوا بما فيه، لعمَّ الأمنُ والطُّمأنينةُ حياةَ النَّاس، ولسادَ العدلُ بينهم، ولعلا شأنُ الأمَّةِ وتقدَّمت ووصلت لأعلى مراتبِ الرُّقي.

2) يحوي كتابُ: (**التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**) منطلقاتٍ معيَّنةً لترسيخ مفهوم العدلِ في كيفيَّة إدارة الدَّولة، وسياسة الحكَّام والوزراء والموظَّفين، وإصلاح الفساد، وهذا ما نحتاجه اليوم؛ فالعالم يشهد تحوُّلاتٍ كثيرةً يمكن أن تكونَ نقطةَ تحوُّلٍ في تاريخ البشريَّة، وتمهيدًا لمرحلةٍ جديدةٍ في عمر الإنسانيَّة على مستوى الحكم والسُّلطة.

3) يسلِّطُ البحثُ الضَّوءَ على واحدةٍ من أهمِّ المسائل في حياتنا ألا وهي: [العدل] ميزان الله في الأرض، ويبيِّن أهمِّيَّة العمل به، وخطورة تركه والإعراض عنه؛ وذلك لإصلاح الواقع من خلال بيان القواعد العامَّة للعدل، وصياغتها في ضوابط واضحةٍ يسهل الأخذُ بها لمن أراد الانتظام في سلك العدل.

منهج البحث:

المنهجُ الَّذي سلكتهُ في هذا البحثِ: **الوصفيُّ التَّحليليُّ**، فقد جمعتُ أقوالَ الإمامِ الغزاليّ رحمه الله تعالى وآراءَه المرتبطةَ بموضوعِ البحثِ من خلالِ كتابهِ: (**التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**) خاصَّةً وكتبهِ الأخرى عامَّةً، ثمَّ قمتُ بتحليلها وعرضها؛ معتمدًا على ما تولَّد لديَّ مِن آراء الإمام الغزاليّ رحمه الله خاصَّة، ومستنيرًا بآراءِ العلماءِ الآخرينَ؛ لمحاولةِ إظهارِ مفهومِ العدلِ عندَ الإمامِ الغزاليّ رحمه الله تعالى.

لقد كنتُ آخذُ الفكرةَ الأساسيَّةَ الَّتي يقوم عليها موضوعُ البحثِ من كلام الإمامِ الغزاليّ رحمه الله تعالى في كتابهِ: (**التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**) أوَّلًا، ثمَّ ألتمسُ تكميلًا لها أو شرحًا لمعضلها، أو

تفصيلًا لمجملها من كتبِ الإمام الغزاليّ الأخرى ثانيًا، ثمَّ أضيفُ لما جُمع لديَّ –عند الحاجة– ما قالهُ علماءُ السِّياسةِ الشَّرعيَّة وما سطَّروه في كتبهم ثالثًا؛ حتَّى تزدادَ الفكرةُ ثراءً والموضوعُ حسنًا وبهاءً، مع محاولة إسقاطِ ذلك الكلام على واقِعنا المعاصر؛ لأخذِ العِبَر وتَسْهيلِ النَّظَر، لمن أرادَ حُسنَ السِّيَر.

الدِّراساتُ السَّابقةُ:

لم أعثُرْ على رسالةٍ علميَّةٍ أو أكاديميَّةٍ –بحسب اطِّلاعي بعد البحث والتَّفتيش–قامتْ بتوضيحِ مفهوم العدلِ عند الإمام الغزاليّ عمومًا أو من خلال كتابٍ خاصٍّ من كتبه، ومنها: **(التِبر المسبوك في نصيحة الملوك)** سوى بحثٍ منشور في مجلَّة: يتفكَّرون، مؤسَّسة: مؤمنون بلا حدود للدِّراسات والأبحاث، العدد: العاشر، سنة: 2014م، بعنوان: [معاني العدل عند الغزاليّ لمحمَّد المصباحي].

تحدَّث فيه الباحثُ عن معانٍ عامَّةٍ للعدل عند الغزاليّ؛ ومنها: العدلُ والعقل، والعدلُ والحقُّ، والعدالةُ الأخلاقيَّةُ، والعدالةُ السِّياسيَّة، والعدالةُ الدِّينيَّةُ، والعدالةُ في الشَّهادة والرِّواية.

كما اعتنى بالجانبِ الفلسفيّ من البحثِ، وأراد بيانَ كونِ الإسلام لا مناصَ له من الفلسفة؛ أي: لا بدَّ من التَّعاطي العقليّ مع القضايا النَّظريَّة والعلميَّة؛ لذا كان الغزاليُّ ينظرُ إلى العدل على أنَّه لا ينفصلُ عن العقل والحقِّ والإنسان بحسب النَّتيجة الَّتي خلص إليها الباحثُ من بحثه.

إنَّ ما يشتركُ مع بحثي (العدالة السِّياسيَّة) والَّتي تحدَّث عنها الأخُ الباحثُ بشكلٍ بسيطٍ (صحيفة واحدة فقط)، وهي ما سأفصِّل الحديثَ عنها في دراستي.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّه لا يوجد تحقيقٌ لكتابِ: **(التِبر المسبوك في نصيحة الملوك)** في رسالةٍ علميَّةٍ أكاديميَّةٍ؛ وإنَّما طُبعَ أكثرَ من مرَّةٍ طبعاتٍ تجاريَّةً من غيرِ تدقيقٍ أو تحقيقٍ؛ ومِن تلك الطَّبعات:

1. مؤسَّسةُ عزِّ الدِّين للطِّباعة والنَّشر، بيروت، الطَّبعة الأولى: 1416هـ/1996م.
2. طبعةُ دار الكتب العلميَّة، أحمد شمس الدِّين، بيروت، الطَّبعة الأولى، 1409هـ/1988م.

المبحث الأوَّل: التَّعريف بالإمام الغزاليّ ومكانته العلميَّة:

المطلبُ الأوَّل: اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبه:

اسمه: محمَّدُ بن محمَّدٍ بن محمَّدٍ بن أحمدَ الطُّوسيّ[6] الغزَاليّ الشَّافعيّ[7].

---

[6] **(طوس)**: المدينةُ الثَّانية في خراسان. بينها وبين نَيسابور نحو عشرةُ فراسخ، وتشتمل على بلدتين يقال لإحداهما: الطَّابران وهي بلد الإمام وإليها نسبته، وللأخرى: نوقان، ولهما أكثر من ألف قريةٍ، فتحت في أيام عثمان بن عفَّان رضي الله عنه. دمَّرتها جحافل المغول تدميرًا كاملًا لم تنهض منه، وبُنيت فيما بعد على مقربةٍ منها مدينة (المشهد) وذلك في القرن الثَّامن الهجريّ، وبها قبر عليّ بن موسى الرِّضا وقبر هارون الرَّشيد أيضًا. ينظر: الحموي، ياقوت شهاب الدِّين، **معجم البلدان**، ج4، ص49.

وتعرفُ اليوم بمشهد الرِّضا، وتقع في الجهة الشَّماليَّة من إيران على الحدود الإيرانيَّة الأفغانيَّة. تبعدُ عن طهران مسافة قدرها: 1000كم. ينظر: أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن الإسلاميَّة**، ص175-176.

كنيته: يُكنَّى بأبي حامدٍ، وليس مِن ولده مَن اسمه حامد، فهو لم يعقِّب سوى البنات[8].

لقبه: لقِّبَ بكثيرٍ من الألقاب في حياته، ومنها: الإمام، والفقيه، والمتكلِّم، وحجَّة الإسلام، ومحجَّة الدِّين، وزين الدِّين[9].

نسبه: (**الغَزالي**) وقد اختُلف في ضبطه: هل هو بالتَّخفيف أو التَّشديد؟

فقيل: (**الغَزَالي**) بتخفيف الزَّاي؛ لأنَّ أصله من قرية (**غَزَالة**[10]) من قرى طُوس.

وقيل: (**الغَزَّالي**) بالتَّشديد؛ لأنَّ أباه كان (**غزَّالًا**) يغزل الصُّوف [11].

يقول الباحث: الرَّاجحُ في هذه المسألة: (**التَّخفيفُ**) للأسباب الآتية:

أوَّلًا: ذكرَ الإمامُ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى[12] أنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّيْنِ ابْن الصَّلاَحِ رحمه الله تعالى[13] روى بسَنده إلى الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى قوله: "النَّاس يَقُوْلُوْنَ لِي: الغَزَّالِي، وَلَسْتُ الغَزَّالِي، وَإِنَّمَا أَنَا الغَزَالِيُّ مَنْسُوْبٌ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالَ لَهَا: غَزَالَةُ – أَوْ كَمَا قَالَ –[14]".

ثانيًا: جاء في المصباح المنير نقلًا عن أحدِ أسباط الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى مجد الدِّين محمَّد بن محمَّد[15]

---

7 ينظر: ابن خَلِّكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم، **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، ج4، ص217، وابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص191.

8 ينظر: ابن الصَّلاح، عثمان بن عبد الرَّحمن، **طبقات الفقهاء الشَّافعيَّة**، ج1، ص264.

9 ينظر: ابن خَلِّكان، **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، ج4، ص217، وابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص191.

10 غزالة: بالتَّخفيفِ إحدى قرى مدينة طوس، ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج19، ص343، وقد سبق في الحاشية رقم: (1) أنَّ طوس تعرف اليوم بمشهد الرِّضا.

11 ينظر: ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد، **طبقات الشَّافعيَّة**، ج2، ص206.

12 الْحَافِظ، المقرئُ، مؤرِّخ الْإِسْلَام، أَبُو عبد الله التركماني، مُحَمَّد بن أَحْمد بن عُثْمَان بن قائماز. سمع بِبِلَادٍ كَثِيرَةٍ من خلائق يزِيدُونَ على ألف وَمِائَتَيْنِ. أخذ الْفِقْه عَن عددٍ من المشايخ، ومنهم: كَمَال الدِّين ابْن الزَّملكاني وبرهان الدِّين الْفَزارِيّ وَكَمَال الدِّين ابْن قَاضِي شُهْبَة وَغَيرهم، وَقَرَأَ الْقرَاءَات وأتقنها وشارك فِي بَقِيَّة الْعُلُوم وَأَقْبل على صناعَة الحَدِيث فأتقنها، له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ متنوعةٌ؛ منها: ميزان الاعتدال، سير أعلام النُّبلاء، تاريخ الإسلام. توفِّي سنة: 748هـ. ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج9، ص100–123، وابن قاضي شهبة، **طبقات الشَّافعيَّة**، ج3، ص55.

13 الشَّيخ تقيُّ الدِّين ابن الصَّلاح عثمان بن عبد الرحمن، ولد سنة: 597هـ. كانَ إِمَامًا بارعًا حجَّةً متبحِّرًا فِي الْعُلُوم الدِّينِيَّة، بَصيرًا بِالْمذهبِ ووجوهه، خَبِيرا بأصوله، عَارِفًا بالمذاهب، حَافِظًا للْحَدِيث متفنِّنًا فِيهِ. تفقَّه على والده الصَّلاح بشهرزور، ثمَّ نَقله وَالِده إِلَى الْموصل فاشتغلَ بهَا مُدَّةً وبرع فِي الْمَذْهَب. وَسمع من عبيد الله بن السَّمين وَنصر الله بن سَلامَة الهيثمي. قدم دمشقَ وَتَوَلَّى تدريس الرّواحية وَوَلِي مشيخة دَار الحَدِيث الأشرفيَّة ثمَّ تدريس الشَّاميَّة الصُّغْرَى. من مصنَّفاته: معرفة أنواع علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصَّلاح، وقد جمع في مناسك الحج أشياء حسنة يحتاج النَّاس إليها، وهو مبسوطٌ، وله إشكالاتٌ على كتاب: الوسيط في الفقه، وقامَ بعض أصحابه بجمع فتاويه في مجلَّدٍ. توفِّي سنة: 643هـ، ينظر: ابن خَلِّكان، **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، ج3، ص244، والصَّفدي، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله، **الوافي بالوفَيَات**، ج20، ص26.

14 الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج19، ص343.

قوله: "أخطأ النَّاسُ في تثقيل اسم جدِّنا، وإنَّما هو مخفَّفٌ؛ نسبةٌ إلى (غزالة) القرية المذكورة[16]".

ويُلَقَّبُ الإمام الغزاليُّ رحمه الله تعالى باللُّغة الفارسيَّة: بـ:(دانِشمَند) ومعناه: الحكيمُ أو الماهرُ أو العالمُ الفقيه[17].

المطلبُ الثَّاني: مولده:

ذكرت كتبُ التَّاريخ والتَّراجم أنَّ الإمامَ الغزاليَّ رحمه الله تعالى وُلِد بالطَّابران، إحدى بلدتي طوس، سنة:450هـ، وإليها ينسب فيقال: الطُّوسي[18].

وقد كان والد الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى يحبُّ العلمَ والعلماء، ويطوفُ على الوعَّاظ والفقهاء؛ للاستفادةِ منهم والنَّيلِ من علمهم، ويقومُ على خدمتهم والإحسان إليهم، وكثيرًا ما كان يبكي عند سماع كلامهم، ويسأل الله أن يرزقه أولادًا صالحين مثل هؤلاء الفقهاء والوعَّاظ، فاستجاب الله دعاءه وحقَّق رجاءه، ورزقه بابنين مثل البدرين: محمَّد وأحمد[19]، فكان محمَّد فقيه الدُّنيا، وأحمد واعظ النَّاس[20].

المطلبُ الثَّالث: نشأتُه ومسيرتُه العلميَّة:

نشأ الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى يتيمًا في بيتٍ فقيرٍ لأبٍ لا يأكلُ إلَّا من كسب يده، لم يجمع من الدُّنيا إلَّا النَّزر اليسير، ولمَّا عاجَلَته المنيَّة، أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديقٍ له من أهل الخير؛ للقيامِ بتعليمهما وتأديبهما، ورعايةِ شؤونهما، وتوجيههما إلى طلب العلم وتعلُّم الخطِّ، فقد قال له: "إنَّ لي لتأسُّفًا عظيمًا على تعلُّم الخطِّ، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين فعلِّمْهما، ولا عليكَ أن تنفقَ في ذلك جميع ما أخلّفه لهما[21]" وأعطاهُ ما لديه من مالٍ يسيرٍ، ولمَّا نفدَ المال، وتعذَّر على الرَّجل القيام برعايتهما، ألحقهما بإحدى المدارس الَّتي كانت ترعى طلَّابَ العلم وتتكفَّلُ بنفقة دراستهم، فكانَ سببًا في سعادتهما وعلوِّ درجتهما[22].

وأمَّا عن مسيرةِ الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى العلميَّة فقد بدأت مبكِّرًا، فقرأ في صباه طرفًا من الفقه

---

16 الفيُّومي، أحمد بن محمَّد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير**، مادة: (غزل)، ج2، ص447.

17 ينظر: ابن العربي، محمَّد بن عبد الله المالكي، **قانون التَّأويل**، ص111.

18 ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد، **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، ج6، ص19.

19 أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد مجد الدّين أَبُو الْفتُوح، لقّبَ بلقب أَخِيه حجَّة الْإِسْلَام زين الدّين، وَكَانَ فَقِيهًا غلب عَلَيْهِ الْوَعْظ والميل إِلَى الانقطاع وَالْعُزْلَة. درَّس بالنِّظاميَّة بِبَغْدَاد لمَّا تَركهَا أَخُوهُ، وَاخْتصرَ الْإِحْيَاء فِي مجلدٍ سَمَّاهُ: لباب الْإِحْيَاء، وَله مُصَنَّفٌ آخر سَمَّاهُ: الذَّخِيرَة فِي علم البصيرة، توفِّي بقزوين سنة:520هـ. ينظر: ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد، **طبقات الشَّافعيَّة**، ج1، ص280.

20 ينظر: ابن السُّبكي، تاج الدّين عبد الوهاب بن تقيّ الدّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص191.

21 ابن السُّبكي، تاج الدّين عبد الوهاب بن تقيّ الدّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص193، والذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج19، ص335.

22 ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص191، وابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد، **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، ج6، ص19.

في طوس على أحمد بن محمَّد الرَّاذكاني رحمه الله تعالى[23]وسارت به همَّته العالية إلى طلبِ العلم في آفاق واسعة، فرحلَ إلى جُرجَان[24]، وتتلمَذ على أبي القاسم الإسماعيليّ رحمه الله تعالى[25] أحدِ شيوخ الشَّافعيَّة، فقرأ عليه مبادئ علم الأصول والفقه[26].

وقد حدثت حادثةٌ أثَّرتْ تأثيرًا كبيرًا في بناء شخصيَّة الإمامِ الغزاليّ العلميَّة، وكانت مصدر إلهامه وسببًا لتفوُّقه ونبوغه رحمه الله تعالى؛ وذلك أنَّه لمَّا كان راجعًا إلى طوس خرجَ له في طريق عودته قطَّاع طرقٍ، وأخذوا جميع ما معه ومضوا، فتبعهم الغزاليُّ رحمه الله تعالى، فالتفتَ إليه كبيرهم وناداه قائلًا: ارجعْ ويحكَ وإلَّا هلكتَ، فقال لهُ الإمامُ الغزاليُّ: أسألُكَ بالَّذي ترجو السَّلامة منه أنْ تردَّ عليَّ تعليقتي[27] فقط، فما هي بشيءٍ تنتفعون به، فقال له: وما تعليقتك؟ فقال: كتبٌ في تلك المِخلاة[28]، هاجرتُ لسماعها وكتابتها ومعرفةِ علمها، فضحكَ وقال: كيفَ تدَّعي أنَّك عرفتَ علمها، وقد أخذناها منكَ فتجرَّدت مِن معرفتها، وبقيتَ بلا علمٍ، ثمَّ أمرَ بعضَ أصحابه فسلَّم لأبي حامدٍ المِخلاة، يقول رحمه الله: "فقلتُ هذا مستنطقٌ أنطقهُ الله ليرشدني به في أمري، فلمَّا وافيتُ طوس، أقبلتُ على الاشتغالِ ثلاث سنين؛ حتَّى حفظتُ جميع ما علَّقته، وصرتُ بحيث لو قطع عليَّ الطَّريق لم أتجرَّد مِن علمي[29]".

---

[23] أَحْمد بن مُحَمَّد الطُّوسي أَبُو حَامِد الراذكاني، وراذكان من قرى طوس، أحدُ أَشْيَاخ الْغَزالِيّ فِي الفقه، تفقَّه عَلَيْهِ قبل رحلته إِلَى إِمَام الحرمين. ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج4، ص91.

[24] (**جُرجان**): مدينةٌ مشهورةٌ عظيمةٌ بين طبرستان وخراسان، كانت تسمَّى قديمًا: أستراباذ أو أستراباد، قيل: إنَّ أوَّل مَن أحدث بناءها يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلقٌ من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدّثين، ولها تاريخٌ ألَّفه حمزة بن يزيد السَّهمي. ينظر: الحموي، ياقوت شهاب الدِّين، **معجم البلدان**، ج2، ص119، وقد قيل: سمِّيت جرجان؛ لأنَّه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ج4، ص52، وتبعد عن طهران لجهة الشَّرق حوالي: 300 كم، وتشتهر بتجارتها وزراعتها وصناعتها المتقنة في السَّجَّاد الفاخر، والأواني النُّحاسيَّة والقدور. ينظر: شامي، يحيى، **موسوعة المدن العربيَّة والإسلاميَّة**، ص262.

[25] أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، كان صدرًا وإمامًا وفقيهًا شافعيًا وعالمًا كبيرًا، وواعظًا بليغًا، كانت داره مجمعًا للعلماء. روى عن حمزة السَّهمي وجماعة. ولد سنة: 407هـ، وتوفِّي بجرجان سنة 477هـ. ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج4، ص294، والذَّهبي، **العِبر في خبر من غبر**، ج3، ص288.

[26] ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص195.

[27] معنى التَّعليقة: مذكَّراتٌ يكتبها الطَّالبُ من محاضراتِ المدرِّس أو من مؤلَّفاته المكتملة الإعداد، والتَّعليقُ: أن يلقيَ المعلِّمُ دروسه على طلَّابه من محفوظاته، أو من مذكَّراتٍ كتبها ليقرأ منها، وفي هذه الحالة يبطئ في الإلقاء ويملي فقرةً فقرةً، أو حديثًا حديثًا مع اتِّصال السَّند.ينظر: الكندري، لطيفة حسين، وملك، بدر محمَّد، **التَّعليقة التَّعليميَّة بين عمق الأصالة وآفاق المعاصرة**، ص6-7.

28 المخلاة: كيسٌ يعلَّق على الرَّقبة، يحوي لوازمَ ومهمَّات الإنسان. ينظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة**، مادة: (خلو)، ج1، ص694.

[29] ابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيِّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص195.

ثمَّ قَدِم نَيسابور[30]، ولازم فيها أعجوبةَ عصره إمام الحرمين الجوينيّ رحمه الله تعالى[31]، وجدَّ واجتهدَ حتَّى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وأحكمَ كلَّ ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وصنَّف في كلِّ فنٍّ من هذه العلوم كتبًا أحسنَ تأليفها وأجادَ وضعها وتصنيفها؛ ولأجل هذا وصفه شيخه الجوينيُّ رحمه الله بقوله: "الغزاليُّ بحرٌ مغدِق[32]".

واستمرَّ الغزاليُّ ملازمًا لإمام الحرمين حتَّى وفاته سنة 478هـ[33].

ولمَّا مات إمام الحرمين رحمه الله، خرج الإمامُ الغزاليُّ وكان عمره 28 سنةً إلى المعسكر[34] قاصدًا الوزير نظام المُلك رحمه الله تعالى[35] الَّذي كان مجلسه مرتعًا للعلماء، فناظرَ الأئمَّة وقهرَ الخصوم، فاعترفَ الجميع بفضله، وأثنوا على علمه وأدبه، وعندها ولَّاه التَّدريس في النِّظاميَّة[36] سنة 484هـ، واستمر يدرِّس هناك مدة أربع سنواتٍ حتَّى عام 488هـ[37].

---

[30] **(نَيسابور)**: بفتح أوَّله، إحدى بلاد خراسان، قيل أنَّه سمِّيت بذلك؛ لأنَّ سابور مرَّ بها وفيها قصبٌ كثيرٌ فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيسابور. فتحها المسلمون أيَّام عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، والأمير عبد الله بن عامر بن كريز في سنة 31هـ صلحًا، وبنى بها جامعًا، وقيل: إنَّما فتحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأحنف بن قيس، وإنَّما انتقضت في أيام عثمان فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانيةً. ينظر: الحموي، ياقوت شهاب الدِّين، **معجم البلدان**، ج5، ص332، وتقع نيسابور اليوم في شمال شرق إيران، وتبعدُ عن مشهد حوالي: 100 كم. بلغ عددُ سكَّان المدينة سنة 2000م ما يقارب 200 ألف نسمة، وهم يعملون بتجارة المنتجات الزِّراعيَّة كالحبوب والقطن. ينظر: العفيفي، عبد الحكيم، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ص506.

[31] أبو المعالي عبدُ الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني؛ نسبةٌ إلى جُوين بنواحي نَيسابور. كَانَ فَقِيْهًا، مُدَقِّقًا، مُحَقِّقًا، نَحْوِيًّا، مُفَسِّرًا. درسَ على أبيه أبي محمَّد الجويني، وأتى على جميع مصنَّفاته، وعندما توفِّي أبوه جلسَ مكانه في التَّدريس وكان عمره عشرين سنةً، ثمَّ رحل إلى بغداد ثمَّ مكَّة ودرَّس فيها، ثمَّ عاد إلى نيسابور، فبنى له نظام الملك المدرسة النِّظاميَّة فيها. مِن مؤلَّفاته: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد، الورقات في أصول الفقه، غياث الأمم في التياث الظُّلم. توفِّي سنة: 478هـ. ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج17، ص617.

[32] ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص196.

[33] ينظر: **المصدر نفسُه**، ج6، ص197.

[34] **(عسكَرُ نَيْسابورَ)**: مدينةٌ مشهورةٌ بخراسان، فيها محلَّة تسمَّى **(العسكر)**. ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص124.

[35] الوَزِيْر الكَبِيْر، نِظَامُ الملك، قِوَامُ الدِّين، أبو علي الحسن بن عليِّ بن إسحاق الطُّوسي، عاقلٌ، سائسٌ، خبيرٌ، سعيدٌ، مُتَدَيِّنٌ، مُحْتَشِمٌ، عامرُ المجلس بالقرَّاء والفقهاء. أنشأَ المدرسَة الكُبْرَى بِبَغْدَادَ، وَأُخْرَى بِنَيْسَابُوْرَ، وَأُخْرَى بِطُوْسَ، وَرغَّب فِي العِلْمِ، وَأَدرَّ عَلَى الطَّلَبَة الصِّلاَت، وَأَملَى الحَدِيْثَ، وَبَعُدَ صيتُه. توفِّي سنة: 485هـ. ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج19، ص94.

[36] المدارسُ النِّظاميَّةُ: هي المدارس الَّتي أسَّسها الوزير (نظام الملك) في عهد السَّلاجقة؛ ولذا سمِّيت باسمه، وهي من المدارس الجيِّدة البناء المتعدِّدة المرافق، وقد جدَّ الوزير في إنشائها، وأوقفَ عليه الأوقاف الواسعة، واختار لها الأكْفاء من الأساتذة، وكان الغرض منها تحقيق الأهداف الآتية: نشرُ العقيدة الصَّحيحة، وتحقيقُ العبوديَّة الخالصة لله تعالى، وإعدادُ الإنسان الصَّالح بنفسه المصلح لغيره، وتوفِّيرُ جوٍ علميٍّ يساعدُ الأساتذةَ والمعلِّمين على أن يفكِّروا ويؤلِّفوا ويبتكروا، كما كان من أهدافها توسيع الأفق الفكريّ لدى الطُّلاب، وإعدادُ الكوادر الفنيَّة المؤهَّلة لممارسة الأعمال المختلفة سواء في الجهاز الحكوميّ أو في غيره. ينظر: الصَّلَّابي، علي محمَّد، **دولةُ السَّلاجقة**، ص268-270.

[37] ينظر: ابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيِّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص196-197.

وفي بغداد[38] عكفَ على دراسةِ الفلسفة دراسةً عميقةً، وألَّف كتابه: **(مقاصد الفلاسفة)** موضِّحًا الأقوال دونَ نقدٍ، ثمَّ ألَّف كتابه: **(تهافت الفلاسفة)** والَّذي نقد فيه الفلسفة والفلاسفة وبيَّن تهافت أقوالهم، وبطلان مذهبهم، وصنَّف في هذه الفترة كتبًا كثيرةً في شتَّى الفنون كالفقه وأصوله وعلم الخلاف وغيره[39].

وبعدَ أنْ علا صيته، وبلغَ من العزِّ ذُراه، وصار وجهة طلَّاب العلم، وملجأ أهل السُّنَّة في الذَّود عن سياج الدِّين، عزفت نفسه عن الرَّذائل، فترك الدُّنيا وبهجتها، ومرض مرضًا شديدًا حال بينه وبين الطَّعام والشَّراب، ثمَّ خرج من بغداد إلى الشَّام، فتنقَّل بينَ دمشق[40] والقدس[41] ومكَّة[42] والمدينة[43]، يقول

---

[38] **بغداد:** عاصمة العراق، تقع على نهر دجلة، وعلى مسافة: 700 كم من مصبِّه، وتشتهر بالتُّمور والحبوب والقطن والحرير، كانت عاصمة الخلافة العبَّاسيَّة، بدئ في بنائها عام: 141هـ، وانتهى بعد ثمانية أعوام في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور، وبلغ عدد البناة حوالي: 100 ألف عامل، والكلفة: 18مليون دينار، وقد بقيت بغداد نابضةً بالحضارة حتَّى دمَّرها المغول سنة: 656هـ، وقتلوا أهلها ودمَّروا مكتبتها، وأنهوا الخلافة العباسيَّة فيها. بلغَ عددُ السُّكَّان عام 2000م حوالي 3,5 مليون نسمة، وهم يعملون في النَّشاطِ الاقتصاديِّ. ينظر: العفيفي، عبد الحكيم، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ص115.

[39] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **المنقذ من الضَّلال**، ص158.

[40] **دمشق:** عاصمة سوريَّا، واحدةٌ من أقدم المدن الإسلاميَّة، وعاصمة الدَّولة الأمويَّة، يعدُّ مسجدها الأموي أحدَ أهم الآثار الإسلاميَّة والَّذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام 87هـ. دخلت دمشقُ الإسلامَ عام 14هـ على يد أبي عبيدة الجرَّاح رضي الله عنه، وقد شهدت عصور ازدهار متتابعةٍ حتى تعرَّضت للتَّخريب على يد تيمورلنك سنة: 803هـ، ودمشق محاطة ببساتين غوطة دمشق اليانعة، وفيها الكثير من المساجد والآثار والبوابات والأسواق والينابيع، وأشهر من دُفن فيها: السُّلطان صلاح الدِّين الأيوبيِّ، والملك الظَّاهر بيبرس. ينظر: العفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ص236.

[41] **القدس**، عاصمة فلسطين، تقع على بعد حوالي: 55 كم جنوب شرق يافا، وتسمَّى: المدينة المقدَّسة أو مدينة السَّلام، ولقد شهدت لأهمِّيَّتها العديد من أنواع الحصار والاحتلال. فيها العديد من الآثار، ومنها: قبر النَّبيِّ داود، وجبل الزيتون، والمسجد الأقصى المبارك. دخلها الإسلام زمن الخليفة العادل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عام: 16هـ بواسطة خالد بن الوليد رضي الله عنه. ينظر: العفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ص366-367.

42 **مكَّة المكرَّمة:** بيت الله الحرام، سمِّيت مكَّة؛ لأنَّها: تمكُّ الجبَّارين؛ أي: تذهب نخوتهم، وقيل: لازدحام النَّاس بها، من قولهم: قد امتكَّ الفصيل ضرع أمِّه؛ إذا مصَّه مصًّا شديدًا، ولها أسماء متعدِّدة، منها: بكَّة والنَّسَّاسة وأمُّ القرى والحاطمة؛ لأنَّها تحطِّم من استخفَّ بها، وسمِّي البيت العتيق؛ لأنَّه عتق من الجبابرة، وفيها بئرُ زمزم طيبٌ مباركٌ. ينظر: الحموي، ياقوت شهاب الدِّين، **معجم البلدان**، ج5، ص181. وهي من أعظم مدن الحجاز في غرب المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، مناخها حارٌّ جدًّا، وهي مركزٌ تجاريٌّ مهمٌّ، وأهمُّ أحيائها ومناطقها: أجياء، والمعابدة، والعتيبية، والنَّقا، والشَّاميَّة، وجرول، والزَّهراء. ينظر: شامي، يحيى، **موسوعة المدن العربيَّة والإسلاميَّة**، ص43-45.

43 **المدينة المنوَّرة:** مدينة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، كان اسمها يثرب قبل الإسلام، هي في مقدار نصف مكَّة، وللمدينة سورٌ والمسجد في نحو وسطها، وقبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم في شرقي المسجد، وأحدٌ جبلٌ في شمال المدينة. لها أسماء متعدِّدةٌ منها: طيبة، وطابة، والمسكينة، والجابرة، والشَّافية، والمرحومة، والقاصمة، والعاصمة. ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص82.

وهي تقع في منطقة الحجاز إلى الغرب من المملكة، والشَّمال من مكة المكرَّمة الَّتي يفصلها عنها حوالي 350 كم، وتعتبر من أهم المدن السُّعوديَّة تطورًا وازدهارًا، فيها نهضةٌ عمرانيَّةٌ وثقافيَّةٌ ودينيَّةٌ وتقنيَّةٌ، كما فيها مجمَّع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، وتمرُها يعتبرُ من أجود أنواع التُّمور. ينظر: شامي، **موسوعة المدن العربيَّة والإسلاميَّة**، ص41-43.

الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله: "ثمَّ دخلتُ الشَّام، وأقمت به قريبًا من سنتين لا شغلَ لي إلَّا العزلة والخلوة[44]، والرِّياضة والمجاهدة، اشتغالًا بتزكيةِ النَّفس، وتهذيبِ الأخلاق، وتصفيةِ القلب لذكر الله تعالى، كما كنتُ حصَّلته من كتب الصُّوفية، فكنتُ أعتكف مدَّةً في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النَّهار، وأغلق بابها على نفسي، ثمَّ رحلتُ منها إلى بيت المقدس، أدخلُ كلَّ يومٍ الصَّخرة[45]، وأغلق بابها على نفسي، ثمَّ تحركت فيَّ داعية فريضة الحج، والاستمداد من بركات مكَّة والمدينة وزيارة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله وسلامه عليه[46]".

ثمَّ رجع إلى بغداد، وعقد بها مجالس الوعظ والإرشاد، وحدَّث النَّاس بكتاب: (**إحياء علوم الدِّين**[47])[48].

ثمَّ سافر إلى مدينة طوس، ولازم بيته، واعتزل النَّاس قريبًا من عشر سنواتٍ.

وبعد ذلك حضر الوزير فخر الدِّين بن نظام الملك[49] إليه، وطلب منه التَّدريس في المدرسة النِّظاميَّة بنيسابور، وألحَّ عليه حتَّى استجاب له، وخرج من عزلته، وأقام في التَّدريس حتَّى عام 503هـ، ثمَّ عاد بعدها إلى بيته في طوس، وبنى مدرسةً وزاويةً بجوار بيته، وعكف على التَّربية والتَّعليم، فوزَّع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختمٍ للقرآن، ومجالسةٍ للصُّوفية، وقعودٍ للتَّدريس[50].

ولم يكن الغزاليُّ رحمه الله متفرِّغًا لدراسة الحديثِ في شبابه، وإنَّما أقبلَ عليه في آخر حياته، واستدعى الحافظ الطُّوسيّ أبا الفتيان رحمه الله تعالى[51]، فأكرمه وسمع عليه صحيحيّ البخاريّ ومسلم[52].

---

[44] الخلوة: "محادثةُ السِّرِّ معَ الحقِّ بحيث لا يُرى غيرُه، هذه حقيقةُ الخلوة ومعناها، وأمَّا صورتها فهي ما يُتوصَّل به إلى هذا المعنى من التَّبتُّلِ إلى الله". الكاشاني، عبد الرَّزَّاق، **معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة**، ص180.

[45] يقصد مسجد قبَّة الصَّخرة، وهو أحد أجزاء المسجد الأقصى.

[46] الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **المنقذ من الضَّلال**، ص177.

47 ذكرَ الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى أنَّ سببَ تأليفه كتاب: (**إحياء علوم الدِّين**) هو إحياءُ علوم الدِّين، والكشفُ عن مناهج الأئمَّة المتقدِّمين، وإيضاحُ مباهي العلوم النَّافعة عند النَّبيِّين والسَّلفِ الصَّالحينَ. ويتميَّزُ هذا الكتاب عن غيره من الكتب المصنَّفة في الموضوع نفسه بخمسة أمورٍ، وهي: الأوَّل: حلُّ ما عقدوه وكشفُ ما أجملوه، والثَّاني: ترتيبُ ما بدَّدوه ونظم ما فرَّقوه، والثَّالث: إيجازُ ما طوَّلوه وضبط ما قرَّروه، والرَّابع: حذفُ ما كرَّروه وإثباتُ ما حرَّروه، والخامس: تحقيقُ أمورٍ غامضةٍ اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلًا لصعوبتها على الفهم. ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **إحياء علوم الدِّين**، ج1، ص2-3.

[48] ينظر: ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ج17، ص125.

49 الوزير الكامل، أبو نصر أحمد ابن رأس الوزراء نظام الملك الحسن بن علي الطُّوسي، نزيل بغداد. وزِر للخليفة وللسُّلطان، وآخر ما وزِر للمسترشد بالله، ثمَّ عُزل بعد سنةٍ وشهر، ولزم داره. كان صدرًا محتشمًا، يملأ العين. روى عن: الشَّيخ أبي إسحاق الشِّيرازي. وعنه: عبد الرَّحيم بن السَّمعاني. توفِّي بطوس سنة: 544هـ، ودفن بداره. ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج20، ص236.

[50] ينظر: ابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص200.

51 أبو الفتيان، عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الدَّهستاني، حافظٌ محدِّثٌ، جوَّالٌ، صنَّف وجمعَ وأكثرَ جدًّا وكان إمامًا في هذا الفنِّ، وسمع من شيوخٍ كثيرينَ ببلدانٍ عدَّةٍ مثل: نيسابور ودمشق ومصر وحرَّان. روى عنه أبو حامد الغزالي، والفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي وغيرهما. خرج

قال عبد الغافر الفارسيّ رحمه الله تعالى[53]: "وَكَانَت خَاتِمَة أمره إقباله على حَدِيث الْمُصْطَفى صلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّم، ومجالسة أَهله، ومطالعة الصَّحِيحَيْنِ البُخَارِيّ وَمُسلم، اللَّذين هما حجَّة الْإِسْلَام، وَلَو عَاشَ لسبق الْكلَّ فِي ذَلِك الْفَنّ بِيَسِيرٍ من الْأَيَّام يستفرغه فِي تَحْصِيله[54]".

المطلبُ الرَّابع: شيوخه:

تلقَّى الإمام الغزاليُّ رحمه الله تعالى أصولَ العلم على أيدي كثيرٍ من الشُّيوخ، ونَهلَ من معينهم الصَّافي؛ وقد أدَّى هذا إلى تنوُّعِ الثَّقافة والمعرفة لديه، فصارَ مشكاةً يضيءُ للآخرينَ بما أوتي من فهمٍ ثاقبٍ وعلمٍ غزيرٍ، ومِن أبرزِ مَن تأثَّر بهم[55]: إمام الحرمين الجويني رحمه الله تعالى، والإمامُ الزَّاهد أبو علي الفضل بن محمَّد بن علي الفارِمْذِي الطُّوسي رحمه الله تعالى[56]، وأبو سهل محمَّد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي رحمه الله تعالى[57]، والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطُّوسي رحمه الله تعالى[58].

المطلبُ الخامس: تلاميذُه:

إنَّ شخصيَّةً عظيمةً كشخصيَّة الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى، تُنبئ عن تعدُّدِ مناهِل المعرفة، وتنوُّع العلومِ الَّتي درسَها، والمعارف الَّتي تلقَّاها وأدركَها بعقله الكبير، فلا غرابةَ أن يكون له تلاميذُ يحملون عنه عِلمَه الغزير، ليصيرَ كلُّ واحدٍ منهم في نهاية الأمر إمامًا من الأئمَّة، وقد قيل أنَّ عددهم بلغ أكثر من ثلاث مئة طالبٍ[59]، ومِن أشهرهم:

من طوس إلى مرو لزيارة الإمام أبي بكر السَّمعاني وقد كان استدعاه ليأخذَ عنه ويستفيد منه فسار، وقد أدركته المنيَّة بسرخس سنة 503هـ. ينظر: الذَّهبي، **تذكرة الحفَّاظ**، ج4، ص24.

[52] ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص215.

[53] أَحْمد بن مُحَمَّد أَبُو المظفر الخوافي، وخواف: قَرْيَةٌ من أَعمال نيسابور، تفقَّه على إمام الحرمين الجويني، وَلَزِمَه وحظي عِنْده بمكانةٍ عاليةٍ، وَكَانَ من كبار أَصْحَابه وسمَّاره. أُعجبَ إِمَام الْحَرَمَيْنِ بفصاحته وَحسن كَلَامه. كان فقيهًا ورعًا. توفِّي سنة: 500هـ. ينظر: ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد، **طبقات الشَّافعيَّة**، ج1، ص262.

[54] ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص210.

[55] ينظر: الزّبيدي، محمَّد بن محمَّد الحسيني، **إتحاف السَّادة المتَّقين**، ج1، ص26.

[56] الإمامُ الزَّاهد أبو علي الفضل بن محمَّد بن علي بن الفارِمذمي الطُّوسي، هو من أعيان تلامذة أبي القاسم القُشيري، صاحب الرِّسالة، تتلمذ في آخر حياته في الحديث على بعض المشايخ؛ منهم: أبو سهل المروزي ومحمَّد بن يحيى الزوزاني. توفِّي سنة: 477هـ بطوس. ينظر: الزّبيدي، **إتحاف السَّادة المتَّقين**، ج1، ص26.

[57] أبو سهل محمَّد بن أحمد بن عبيد الله المروزي الحفصي راوي صحيح البخاري عن أبي الهيثم الكُشميهني صاحب الفِرَبري أحد رواة الحديث النَّبوي، حدَّث بصحيح البخاري، كان رجلًا مباركًا، أكرمه نظام الملك وسمع منه. روى عنه الشَّيخ أبو حامد الغزالي وإسماعيل بن أبي صالح المؤذِّن، وعبد الوهاب بن شاه الشَّاذياخي وخلقٌ سواهم. توفِّي سنة: 466هـ. ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النُّبلاء**، ج18، ص244.

[58] نصْرُ بن عليّ بن أحمد بن منصور بن شاذوَيْه، أبو الفتح الحاكميّ الطُّوسيّ. شيخٌ عالمٌ مشهورٌ معمّرٌ، حدَّث بالسُّنن لأبي داود عن أبي عليّ الرُّوذباريّ. وسمع أيضًا من أبي بكر الحيريّ، وأحضر إلى نيسابور، فسمعوا منه السُّنن. توفِّي سنة: 471 هـ. ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج10، ص466.

[59] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **المنقذ من الضَّلال**، ص61.

1. الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمَّد ابن برهان رحمه الله تعالى[60].
2. جمال الإسلام أبو الحسن عليُّ بن المسلم السّلمي الدِّمشقي الفرضي رحمه الله تعالى[61].
3. الفقيه عليُّ بن المطهِّر بن مكّيّ رحمه الله تعالى[62].
4. القاضي أبو بكر، محمَّد بن عبد الله محمَّد، المعروف بابن العربيّ رحمه الله تعالى[63].
5. العلَّامة أبو سعيد محمَّد بن يحيى النَّيسابوري رحمه الله تعالى[64].

المطلبُ السَّادس: مكانتُه العلميَّةُ، وثناءُ العلماء عليه:

احتلَّ الإمامُ الغزاليُّ مكانةً مرموقةً بين علماء عصره، فأثنوا عليه بما هو أهله، ومدحوه بأفضل العبارات وأجمل الكلمات؛ وهذه نبذةٌ يسيرةٌ من النُّصوص الَّتي تبيِّن مدى التَّقدير الكبير الَّذي حظي به عند علماء عصره مِن شيوخه وتلاميذه وقرنائه ومَن جاء بعدهم عبر مختلف العصور والقرون:

قال عنه شيخه الجوينيُّ إمام الحرمين رحمه الله تعالى كما مرَّ: "الغزاليُّ بحرٌ مغدِق[65]".

وقال عنه تلميذه الإمام محمَّد بن يحيى النَّيسابوري رحمه الله تعالى: "الغزاليُّ هو الشَّافعيُّ الثَّاني[66]".

وقال معاصره الإمام عبد الغافر الفارسيّ رحمه الله تعالى: "أبو حامد الغزاليّ حجَّة الإسلام والمسلمين، إمام

---

[60] الإمام أبو الفتح، أحمد بن علي بن برهان، أبو الفتح: فقيهٌ بغداديٌّ، كَانَ أَوَّلًا حنبليَّ الْمَذْهَب ثمَّ انْتقل، وتفقَّه على الشَّاشِي وَالْغَزالِيّ وإلكيَّا. كان يضربُ به المثل في حلِّ الإشكال. له مصنَّفاتٌ في أصول الفقه منها: الأوسط والوجيز وغير ذلك. توفِّي سنة: 518هـ. ينظر: ابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيِّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص30.

[61] جمال الإسلام، أبو الحسن عليّ بن مسلم السُّلمي الشَّافعي، مدرِّسٌ في الزَّاوية الغزاليَّة ومفتي الشَّام في عصره، تفقَّه على عبد الجبَّار المروزي ثمَّ على نصر المقدسي وبرع في المذهب، ولزم الغزاليَّ مدة مقامه في دمشق ودرَّس في حلقته، كان ثقةً ثبتًا عالمًا بالمذهب والفرائض، ملازمًا للتَّدريس والإفادة وحسن الأخلاق. توفِّي سنة: 533هـ. ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج7، ص235.

[62] علي بن المطهِّر بن مكِّي بن مقلاص، أبو الحسن الدِّينوري، كان فقيهًا صالحًا. تفقَّه على أبي حامد الغزالي، وسمع الحديث من النَّقيب أبي الفوارس طرَّاد بن محمد ابن علي الزَّينبي، وأبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر ومنصور بن بحر بن حيد النَّيسابوري. حدَّث باليسير. روى عنه أبو القاسم بن عساكر وأبو سعد بن السمعاني. كان يسكن النِّظامية، وكان إمام الصَّلوات بها، توفِّي سنة: 533هـ. ينظر: ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج7، ص237.

[63] محمَّد بن عبد الله بن محمد المعارفي الإشبيلي المالكي المعروف بأبي بكر بن العربي القاضي، من حفَّاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة: 468هـ، ورحل إلى المشرق. من مصنَّفاته: العواصم من القواصم، وعارضة الأحوذي بشرح التِّرمذي، وأحكام القرآن. توفِّي سنة 543هـ، ودفن بمدينة فاس. ينظر: ابن خَلِّكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم، **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، 296/4، والذَّهبي، **سير أعلام النُّبلاء**، ج20، ص198.

[64] العلَّامة مُحَمَّد بن يحيى بن مَنْصُور الْعَلامَة النَّيْسَابُورِي. تفقَّه على أبي حَامِد الْغَزالِيّ وَأبي المظفَّر الخوافي، وبرع فِي الْفِقْه، وصنَّف فِي الْمَذْهَب وَالْخلاف، وانتهت إِلَيْهِ رئاسة الْفُقَهَاء بنيسابور. رَحل الْفُقَهَاءُ من النَّواحي للأخذ عَنهُ، واشتهر اسْمه، ودرَّس بنظاميَّة نيسابور. من مصنَّفاته: المحيط في شرح الوسيط للغزالي في ثمانية مجلَّدات، وكتابٌ فِي الْخلاف سَمَّاهُ: الانتصاف فِي مسَائِل الْخلاف، توفِّي سنة 548هـ. ينظر: ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد، **طبقات الشَّافعيَّة**، ج3، ص55.

[65] ابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيِّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص196.

[66] **المصدر نفسُه**، ج6، ص202.

أئمَّة الدِّين، مَنْ لم تر العيون مثله لسانًا وبيانًا ونطقًا وخاطرًا وذكاءً وطبعًا[67]".

وترجم له تاج الدِّين السُّبكيّ رحمه الله تعالى [68] فقال: "حجَّةُ الإسلام ومحجَّة الدِّين الَّتي يتوصَّل بها إلى دار السَّلام، جامع أشتات العلوم، والمبرّز في المنقول منها والمفهوم، جرت الأئمَّة قبله بشأوٍ ولم تقع منه بالغاية، ولا وقف عند مطلبٍ وراء مطلبٍ لأصحاب النِّهاية والبداية[69]".

المطلبُ السَّابع: آثاره ومؤلَّفاتُه:

رزقَ الله الإمامَ الغزاليَّ رحمه الله تعالى همَّةً عاليةً في التَّأليف والكتابة، يقول عن نفسه: "ولم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري، منذ راهقت البلوغ قبل العشرين إلى الآن –وقد أناف السِّنُّ على الخمسين– أقتحم لجَّة هذا البحر العميق، وأخوضُ غمرته خوض الجَسور[70] لا خوض الجبان الحذور، وأتوغَّل في كلِّ مظلمةٍ، وأتهجَّم على كلِّ مشكلةٍ، وأقتحم كلَّ ورطةٍ[71]، وأتفحَّص عقيدة كلِّ فرقةٍ، وأستكشف أسرار مذهب كلِّ طائفةٍ؛ لأميِّز بين محقٍّ ومبطلٍ، ومتسنِّنٍ ومبتدعٍ[72]".

ونتيجةً لهذه الهمَّة العالية نجد أنَّ الإمام الغزاليَّ رحمه الله تعالى قد تركَ مصنَّفاتٍ عديدةً في رحاب المكتبة الإسلاميَّة أوصلها بعضهم إلى أكثر مِن خمسمائة مصنَّفٍ؛ منها ما هو مدسوسٌ عليه، ومنها ما هو ثابتُ النِّسبةِ إليه، ومن أشهر كتبه[73]: إحياءُ علوم الدين، والمستصفى من علم الأصول، والمنقذُ من الضَّلال، والاقتصادُ في الاعتقاد، وبداية الهداية، وأيُّها الولد.

المطلبُ الثَّامن: وفاتُه:

فاضتْ روحُ الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى إلى بارئها يوم الاثنين الرَّابع عشر من جمادى الآخرة سنة: 505هـ، ودفنَ بالطَّابران، بطوس مسقط رأسه[74].

---

[67] **المصدر نفسُه**، ج6، ص204.

[68] قاضي القضاة تاجُ الدِّين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي الشَّافعي. قرأ على الحافظ المزّي، ولازم الذَّهبي، وتخرّج به، وطلب بنفسه، ودأب، وأجازه شمس الدِّين بن النَّقيب بالإفتاء والتدريس. من تصانيفه: شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح منهاج البيضاوي، وجمع الجوامع، وغير ذلك. توفِّي سنة: 771هـ. ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد، **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، ج8، ص378.

[69] ابن السُّبكي، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، ج6، ص192.

[70] جَسَرَ يجسُر جُسورًا وجَسارةً: مضى ونفَذ، والجَسور: المقدام، ورجلٌ جَسرٌ وجَسورٌ: ماضٍ شجاعٌ. ينظر: ابن منظور، جمال الدِّين محمَّد بن مكرَّم بن علي، **لسان العرب**، مادة:(جسر)، ج4، ص136.

[71] الورطة: الهلكة، وقيل: الأمرُ تقعُ فيه من هلكةٍ وغيرها، وكلُّ غامضٍ ورطةٌ. وأصل الورطة: أرضٌ مطمئنَّةٌ لا طريق فيها، وأورطه: أوقعه فيما لا خلاصَ له منه. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (ورط)، ج7، ص425.

[72] الغزّالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **المنقذ من الضَّلال**، ص50.

73 ينظر: بدوي، عبد الرَّحمن، **مؤلَّفات الغزالي**، ص1–238.

[74] ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن هبة الله، **تاريخ دمشق**، 204/55، وقيل أنَّه توفِّي في التَّاسع عشر، وليس الرَّابع عشر. ينظر: ابن الصَّلاح، عثمان بن عبد الرَّحمن، **طبقات الفقهاء الشَّافعيَّة**، ج1، ص264.

رُوِيَ عن شقيق الإمامِ الغزاليّ أحمد رحمه الله تعالى قوله: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ وَقْتَ الصُّبْحِ، تَوَضَّأَ أَخِي أَبُو حَامِدٍ وَصَلَّى، وَقَالَ: عَلَيَّ بِالْكَفَنِ، فَأَخَذَهُ وَقَبَّلَهُ، وَتَرَكَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً الدُّخُولُ عَلَى الْمَلِكِ، ثُمَّ مَدَّ رِجْلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَمَاتَ قَبْلَ الإِسْفَارِ[75]".

المبحث الثَّاني: مفهومُ العدل:

إنَّ العدلَ مُهِمٌّ جدًّا في حياةِ النَّاس، وفي مستقبل الأمم ونهضتها؛ فبإقامته يتحقَّقُ كلُّ خيرٍ، وبفقدهِ تحلُّ الآفاتُ والشُّرور والآثام، وهذا ما يفسِّر أحد أسبابِ رفاهيَّة وسعادةِ المجتمعات الغربيَّةِ اليومَ، وتعاسة وشقاء وبؤس كثيرٍ من الدُّولِ العربيَّة والإسلاميَّة، فغيابُ العدلِ يؤدِّي إلى مشكلاتٍ عديدةٍ وظواهرَ خطيرةٍ؛ ومن بينها: نشوءُ الأفكارِ المتطرِّفة والعنيفة والهمَجيَّة الَّتي تُعاني منها بعضُ المجتمعاتِ اليومَ، ومع سوءِ الحكمة في التَّعامل معها- غالبًا- فإنَّها تتوسَّع وتنتشرُ على نِطاقٍ واسعٍ؛ لذا كان تحقيقُ العدلِ مطلبًا ملحًّا، فالعدلُ أملٌ لكلِّ الأممِ والشُّعوب، ولا يمكنُ أن ينعمَ أيُّ مجتمعٍ بالسَّعادةِ والأمنِ والرَّخاءِ والطُّمأنينةِ إلَّا في ظلال العدل، فهو مفتاحُ صلاحِ الأمور واستقامتها في كلِّ شيءٍ؛ ولعِظَمِ شأنِ العدلِ سيتمُّ الحديثُ عن تعريفه، وفضلِهِ، وأهمِّيَّتِهِ في ترسيخ الحكم، وأنواعِهِ، وقواعدِهِ في الفروعِ الآتية:

المطلبُ الأوَّلُ: تعريفُ العدلِ لغة وشرعًا:

أوَّلًا: تعريف العدل لغةً:

العدلُ: ما قامَ في النُّفوسِ أنَّه مستقيمٌ، وهو نقيضُ الجور؛ مِن عدَلَ يعدِلُ عدلًا فهوَ عادلٌ من قومٍ عُدُولٍ وعدْلٍ. والعَدْلُ: الحُكْم بِالْحَقِّ، يُقَالُ: هُوَ يَقْضي بِالْحَقِّ ويَعْدِلُ. وَهُوَ حَكَمٌ عَادِلٌ: ذُو مَعْدَلَةٍ فِي حُكْمِهِ. والعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: المَرْضِيُّ حكمه وقوله. والعَدالة والعُدولة والمَعْدِلةُ والمِعْدَلةُ، كلُّه: العَدْل. وعَدَّلَ الحُكْمَ؛ أي: أَقامه[76].

ثانيًا: تعريف العدل اصطلاحًا:

عرَّف الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ تَعَالَى العدلَ بـ: "أنْ تُساويَ بينَ المجهولِ الَّذي لا يُعرَف وبينَ المحتَشِم[77] صاحبِ الجاهِ المعروفِ في مقامٍ واحدٍ في الدَّعاوى، وتنظرَ أيضًا بعينٍ واحدةٍ، ولا تفضِّلَ أحدَهما على الآخر لأجلِ أنَّ أحدَهما فقيرٌ والآخرَ غنيٌّ[78]"؛ فالنَّاسُ سواسيةٌ، لا فرقَ بين غنيٍّ وفقيرٍ، وقويٍّ وضعيفٍ، ورجلٍ وأنثى، وقريبٍ وبعيدٍ، والضَّابط الكليُّ الَّذي يجمع شتات العدل ويبيِّن مقصوده ذكره الغزاليُّ بقوله: "وَالضَّابِطُ الْكُلِّيُّ فِيهِ أَلَّا يحبَّ لِأَخِيهِ إِلَّا مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَكُلُّ مَا لو عوملَ به شقَّ عَلَيْهِ وَثَقُلَ عَلَى قَلْبِهِ

---

[75] ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي، **الثَّبات عند الممات**، ص178-179.

[76] ينظر: ابن منظور، جمال الدِّين محمَّد بن مكرَّم بن علي، **لسان العرب**، مادة: (عدل)، ج11، ص430.

[77] المحتَشم: المَهيب. ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مادة: (حشم)، ص1094.

[78] الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص57.

فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُعَامِلَ غَيْرَهُ بِهِ[79]".

المطلبُ الثَّاني: فضلُ العدلِ:

العدلُ هُو الغايةُ العُظمى الَّتي مِن أجلها أرسلَ الله رسله، وأنزلَ كتبه، قال تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ) (الحديد: 25) فالله سبحانه وتعالى أرسل رسلهُ بالمعجزاتِ البيّنة والشَّرائع الظَّاهرة، وأنزلَ معهم الكتب؛ ليقومَ النَّاسُ بالعدل في معاملاتهم ويجعلوه عنوان حياتهم[80].

وقالَ أيضًا: (ئې ئۈ ئې ئى ئى ئى ی ی ی □) (ص: 26)، فتلكَ وصيَّةٌ منَ الله عزَّ وجلَّ لولاةِ الأمورِ القائمينَ على شؤونِ النَّاس بأن يحكموا بين العبادِ بالحقِّ المنزَّل مِن عنده تباركَ وتعالى، ولا يحيدُوا عنه، فَيضلُّوا عنْ سبيله؛ لذا فقد توعَّدَ سبحانهُ وتعالى مَن ضلَّ عن سبيله، ولم يحكمْ بالعدلِ بينَ النَّاس بالوعيدِ الأكيدِ والعذابِ الشَّديد[81].

وكما أمَر سبحانه وتعالى بالعدلِ، فقد حرَّم ضدَّهُ وهو الظُّلم وزجرَ عنه، كما في الحديث القدسيِّ[82]: «يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجعلتهُ بينكم محرَّمًا فلا تظالموا[83]».

وجاءت الأحاديثُ النَّبويَّةُ تُبيِّن فضلَ العدلِ بشكلٍ عامٍّ، والإمامَ العادل بشكلٍ خاصٍّ؛ حثًّا على الالتزامِ به، والسَّيرِ على سبيله، فبعدلِ الخلفاء؛ يكثرُ العطاء، وتصيرُ الصَّحراء جنَّةً خضراء، وبالجورِ يزدادُ الغلاء، وتشيعُ الفحشاء، وتظهرُ الخيلاء والرُّذلاء؛ ومن تلك الأحاديث:

الحديثُ الأوَّلُ: «سبعةٌ يظلِّهمُ الله في ظِلِّه، يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه: الإمامُ العادلُ[84]...».

يخبرُ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بأنَّه يومَ القيامة، يومَ الحسرةِ والنَّدامة، يومَ تدنو الشَّمسُ من رؤوسِ الخلائقِ حتَّى تكونَ قدر ميلٍ[85]، يكون هناكَ سبعةُ أصنافٍ من عباد الله الصَّالحين في كنفِ اللهِ وحفظهِ ورعايتهِ، فيقيهم منَ الشَّمس والحرِّ ووهجِ ذلك الموقف وأنفاسِ الخلق، وأوَّلهم: الإمامُ العادلُ، ذلكَ الإمامُ الَّذي

---

[79] الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **إحياء علوم الدِّين**، ج2، ص74.

[80] ينظر: القرطبي، محمَّد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامعُ لأحكام القرآن**، ج17، ص260.

[81] ينظر: ابن كثيرٍ، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص62.

[82] الحديثُ القدسيُّ: هو ما أضيف إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأسنده إلى ربِّه عزَّ وجلَّ. ومناسبة تسميته (قدسيًّا) هي التَّكريم لهذه الأحاديث من حيث إضافتُها إلى الله تعالى. ينظر: عتر، نور الدِّين، **منهج النَّقد في علوم الحديث**، ص323.

[83] مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: البرُّ والصِّلة، باب: تحريم الظُّلم، رقم2577، ج4، ص1994.

[84] البخاري، محمَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة وفضل المساجد، رقم629، ج1، ص234، ومسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: الزَّكاة، باب: فضل إخفاء الصَّدقة، رقم1031، ج2، ص715.

[85] اختُلف في المقصود بالميل كما جاء في الحديث على قولين: الأوَّل: أنَّه مسافة الأرض، والثاني: أنَّه الميل الَّذي تُكحَّل به العين. ينظر: القاري، علي بن محمَّد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج8، ص3517.

والميل: مقداره الشَّرعيُّ: (4000) ذراع مصري، ومقداره بالمقاييس الحاليَّة: (1848م). ينظر: الزُّحيلي، وهبة، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج1، ص142.

انتصفَ للمظلوم من الظَّالم، وأقامَ الحدود، وعدلَ بين النَّاس؛ حتَّى عمَّ الأمنُ والرَّخاءُ والازدهارُ الدَّولةَ في عهدِهِ.

الحديثُ الثَّاني: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ[86]، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ[87]، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا[88]».

فالَّذين يعدلونَ في حكمهم وما تقلَّدوهُ من خلافةٍ أو قضاءٍ أو إمارةٍ، تكون لهم درجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ، فهم يُحشرونَ عن يمين الرَّحمن يومَ القيامة على منابرَ من نورٍ[89].

الحديثُ الثَّالثُ: «ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتهم: الإمامُ العادلُ، والصَّائمُ حتَّى يُفطر، ودعوةُ المظلوم[90]».

إنَّها منزلةٌ عظيمةٌ ودرجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ ينالها الإمامُ العادل، فقد جعلَ الله دعاءَه مستجابًا[91]؛ إذا رفعَ يديه إلى الرَّحمن، يعطيه الأمنَ والأمان، والرَّوحَ والرَّيحان، والجنَّةَ والرِّضوان.

الحديثُ الرَّابعُ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُ عَذَابًا: إِمَامٌ جَائِرٌ[92]».

الإمامُ العادلُ مِن أكثر النَّاس محبوبيَّةً إلى الله يومَ القيامة، وأقربهم منه مكانةً ومرتبةً[93]، وفي المقابلِ فإنَّ أشدَّ النَّاس كراهيَّةً إلى الله، وأفظعهم عذابًا: الإمامُ الظَّالم[94]؛ وما ذلكَ إلا لأنَّ العدلَ يبعثُ على الطَّاعةِ المأمورِ بها النَّاس، ويدعو إلى الألفة، وبه تَصلح الأعمال، وتنمو الأموال، وتنتعشُ الرَّعيَّة، وتكملُ المزيَّة، وكلُّ تلكَ أخلاقٌ ندبَ الشَّرعُ إليها، وحثَّ العبادَ عليها[95].

المطلبُ الثَّالثُ: أهمِّيَّةُ العدلِ في ترسيخِ الحكمِ:

---

86 قوله صلَّى الله عليه وسلَّم عن يمين الرَّحمن: هذا من أحاديث الصِّفات، وقد اختلف العلماء فيها: فمنهم من قال نؤمن بها ولا نتكلَّم في تأويلها ولا نعرف معناها؛ لكن نعتقد أنَّ ظاهرها غير مراد وأنَّ لها معنى يليق بالله تعالى، وهذا مذهب جماهير السَّلف وطوائف من المتكلِّمين، والقول الثَّاني: أنَّها تؤوَّل على ما يليق به، وهذا قول أكثر المتكلِّمين؛ وعلى هذا قال القاضي عياض رضي الله عنه: المراد بكونهم عن اليمين: الحالةُ الحسنةُ والمنزلةُ الرَّفيعةُ. ينظر: النَّووي، محيي الدِّين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، ج12، ص211.

87 قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: (وكلتا يديه يمين): هذا تنبيهٌ على أنَّه ليس المراد باليمين جارحةٌ، تعالى الله عن ذلك؛ فإنها مستحيلةٌ في حقِّه سبحانه وتعالى. ينظر: النَّووي، محيي الدِّين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، ج12، ص211.

88 مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم1827، ج2، ص1458.

89 ينظر: النَّووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، ج12، ص212.

90 التِّرمذي، محمَّد بن عيسى، **سنن التِّرمذي**، كتاب: الدَّعوات، باب: في العفو والعافية، رقم3598، ج5، ص578، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

91 ينظر: المناوي، زين الدِّين محمَّد عبد الرَّؤوف، **التَّيسير بشرح الجامع الصَّغير**، ج1، ص477.

92 التِّرمذي، محمَّد بن عيسى، **سنن التِّرمذي**، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الامام العادل، رقم1329، ج3، ص617، وقال: حسنٌ غريبٌ.

93 ينظر: القاري، علي بن محمَّد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج6، ص2412.

94 ينظر: المباركفوري، محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي**، ج4، ص466.

95 ينظر: الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص281-284.

إنَّ العاملَ الأساسَ عند الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى في نموِّ الدَّولة وازدهارها هو العدلُ، فإذا كانَ السُّلطانُ عادلًا أمنت الرَّعيَّة وأطاعت أمره واجتنبت نهيه، وعمرت الدَّولة، وقَويت شوكتُها، ورسخ حكمُها، وطالَ أمدُها، وسرت روح المحبَّة والوئام والانسجام والاستقرار النَّفسيّ بين الرَّاعي والرَّعيَّة؛ وفي المقابل إذا كان ظالمًا خربت البلاد، وضعفت الدَّولة، وتقوَّضَ بنيانها، وتزعزعت أركانُها، فالسُّلطانُ الظَّالمُ شؤمٌ[96] لا يبقى مُلكه ولا يدوم[97]، وقد قيل: "الملكُ يبقى معَ الكفرِ، ولا يبقى معَ الظُّلمِ[98]".

وهذا ما يذكره العلماءُ منْ أنَّ العدلَ إذا غاب وانحسر، والظُّلمَ إذا شاع وانتشر، تَفسدُ النِّيَّات والمعاملات، فالمظلومُ يمتلأ قلبهُ حقدًا وغيظًا على الظَّالم، ويتحيَّنُ الفرصَ لردِّ المظلمة، والسُّلطانُ لا يستقيمُ سلطانه؛ لفسادِ بطانته بالظُّلم الَّذي يقومونَ به تجاه الرَّعيَّة نتيجة كون السُّلطان في صفِّهم، فتكثر الشَّكاوى، وتختلُّ الأمور، فتسقط ممالك وتقوم أخرى مكانها، ويضطرب حبل الأمن، ويكثر قطَّاع الطُّرق، وتهدم البيوت، وتسفك الدِّماء، ويضعف الأمن، وتهتك الأعراض، وتصير البلاد مستهدفةً من قبل الأعداء[99].

يقول الباحث: ما ذكرهُ الغزاليُّ وغيره من أهمِّيَّة العدل في ترسيخ الحكم وتثبيته يعَدُّ قاعدةً عظيمةً وحكمةً قويمةً لا ينبغي المحيدُ عنها وخصوصًا في زماننا، فأنظمةُ الحكمِ مهما كانت قويَّة، إذا غابَ فيها العدلُ، وشاعَ الظُّلم، ستسقطُ في ليالٍ معدودة، وتنهارُ انهيارًا كبيرًا، فمن أسَّسَ بنيانه على الظُّلم والفساد، والجورِ بين العباد، سيأتي الله بنيانَه من القواعد، ويأذن بزوال حكمه، فالظَّالمون ضلَّ سعيُهم في الحياة الدُّنيا، وباؤوا بالخسران الأكيد، وفي الآخرة لهم عذابٌ شديدٌ، وقد صدق الإمامُ الماورديُّ رحمه الله تعالى[100] عندما قالَ: "واعلم أنَّك لن تستغزرَ موادَّك إلَّا بالعدلِ والإحسان، ولن تستندرَها بمثل الجور والإساءة؛ لأنَّ العدلَ استثمارٌ دائمٌ، والجورَ استئصالٌ منقطعٌ، وقد قيلَ في منثورِ الحكم: بالعدلِ والإنصاف، تكونُ مدَّة الائتلاف[101]".

المطلب الرَّابعُ: أنواعُ العدلِ:

يرى الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى أنَّ العدلَ ينقسمُ ثلاثةَ أقسامٍ:

العدلُ في مملكةِ البدنِ، والعدلُ في أخلاقِ النَّفسِ، والعدلُ في المعاملةِ.

---

96 الشُّؤْمُ: خلافُ اليُمْنِ. قَدْ يُمِنَ فلانٌ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ مَيْمونٌ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ شُئِمَ عليهم فهو مَشْؤُومٌ. يقال: شأمَ فلانٌ أصحابه إذا أصابهم شؤمٌ من قبله، وقد شُئم عليهم فهو مشؤومٌ إذا صار شؤمًا عليهم. ينظر: ابن منظور، جمال الدِّين محمَّد بن مكرَّم بن علي، **لسان العرب**، مادة: (شَؤم)، ج12، ص314-315.

97 ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص44.

98 ذكر هذا القول الإمام الرَّازي رحمه الله تعالى: "ويقال في الأثر الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظُّلم". الرَّازي، فخر الدِّين محمَّد بن الحسن بن الحسين، **مفاتيحُ الغيب**، ج18، ص410.

99 ينظر: ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن محمَّد، **ديوانُ المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشَّأن الأكبر**، ص353.

100 الإمامُ العلَّامة، أقضى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمَّد بن حبيب البصري، الماوردي، الشَّافعي. ارتحل إلى الشَّيخ أبي حامد الإسفراييني، ودرس بالبصرة وبغداد سنين، كان حافظًا للمذهب. صنَّفَ التَّصانيف العديدة، ومنها: الحاوي، وآدب الدُّنيا والدِّين، والأحكام السُّلطانية. توفِّيَ في ربيع الأول سنة: 450هـ وقد بلغ ستًّا وثمانين سنة. ينظر: الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، سِير أعلام النُّبلاء، ج18، ص65.

101 الماوردي، علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب، **أدب الوزير**، ص4.

وهو على هذا التَّرتيبِ والانتظام، فعندَما يوجدُ العدلُ في مملكة البدن، يأتي بعده العدلُ في أخلاق النَّفس، فإذا وُجد هذا، تبعه مباشرةً العدلُ في المعاملة، ولنْ ينتظمَ العدلُ إلَّا بوجود هذه الأنواع كاملةً متكاملةً، فالعدلُ ليس جزءًا من الفضائل وإنَّما هو جملة الفضائل، فإذا كان بين الملك وجنده ورعيَّته ترتيبٌ محمودٌ، ككون الملك بصيرًا قاهرًا، وكونِ الجند أولي قوَّةٍ وطاعةٍ، وكون الرَّعيَّة سلسو القياد، قيل: إنَّ العدلَ قائمٌ في البلدِ[102].

المطلب الخامسُ: قواعدُ العدلِ والإنصافِ:

وضعَ الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى مجموعةً من القواعدِ الخالدةِ، تَبني منظومةً من العدل رائدة، تكون للسُّلطانِ والحاكمِ قائدة؛ صالحةً لكلِّ زمانٍ ومَكانٍ؛ فيها لمن اقتفى أثرها الخيرُ والسَّعادةُ والأمانُ، ومَن حادَ عنها ابتُلي بالذُّلِّ والصَّغارِ والهوان؛ فيجدُر بكلِّ من وَليَ أمرَ النَّاسِ أنْ يعملَ بها، ويتَّخذَها نبراسًا يسيرُ على هُداها، وتلكَ هي القواعدُ:

أوَّلًا: معرفةُ السُّلطانِ قدْرَ الولايةِ وخطورةَ أمرها، فالحكمُ والقِيادةُ من أكبرِ نعمِ الله على العبد، فإنْ قام بحقِّها حظيَ بسَعادةٍ لا تُوصف، وإنْ قصَّر في أمرها وقعَ في شقاوةٍ لا شقاوةَ بعدها[103].

إنَّها نعمةٌ عظيمةٌ بلا شكٍّ، فالسُّلطانُ خليفةُ الأنبياءِ في إصلاحِ الخلائق، ودعوتهم إلى عبادة الرَّحمن، ولا منزلةَ فوقَ السُّلطانِ العادلِ إلَّا منزلة النَّبيِّ المرسل أو المَلَك المقرَّب؛ لأنَّ خيرَه يعمُّ، وكذلك ليسَ دون رتبة السُّلطان الظَّالم رتبة؛ لأنَّ شرَّه يعمُّ أيضًا[104].

ثانيًا: التَّقرُّبُ من العُلماءِ الصَّالحينَ النَّاصحينَ، والاشتياقُ إلى سماعِ آرائهم ونصائحهم، والابتعادُ عن علماءِ السُّوء الَّذينَ يزيِّنون الحرام، ويُلبسونه ثوبَ التُّقى[105]، كما يفعلُ بعض علماء هذا الزَّمان، يحسِّنون للملكِ أفعالَه، ويبرِّرون ظلمه وفسادَه، وكم سُفكت دماءٌ في زماننا، وهتكت أعراضٌ لأخَواتنا؛ بناءً على فتاوى مفتي الرِّيالاتِ والدُّولارات، وعبيدي الأراضي والسَّيَّارات؛ فَحريٌّ بالحاكمِ أن يبحث ويتحرَّى عن العلماء النَّاصحين، الَّذين وصفهم الإمام الغزاليُّ بأنَّهم لا يحرصون على الدُّنيا ولا يطمعونَ فيما بين يدي الملك، وينصفونه في الوعظِ والمقال، ولا همَّ لهم من مجالسته إلَّا نصحه في الله، والله يتولى هداه[106].

ثالثًا: رفعُ ظلمِ الولاةِ عن الشَّعب، فلا يكفي ألّا يكون الحاكمُ ظالمًا بنفسه؛ بل يجبُ أنْ يكونَ عُمَّاله وولاتهُ كذلك، وأن يبذلَ جَهده في نشرِ العدل ومنعِ الظُّلم في جميعِ أركان الدَّولة من أيِّ موظفٍ كان، وأن ينظرَ في حقائقِ الأشياء ولا يغترَّ بظاهرها؛ حتَّى يكون عاقلًا، فمن لم يكن عاقلًا لم يكن عادلًا، ومن لم يكن عادلًا فمأواهُ النَّار،

---

[102] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **ميزان العمل**، ص272.

[103] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص15.

[104] ينظر: الطَّرطوشي، أبو بكر محمَّد بن محمَّد، **سراج الملوك**، ص45.

[105] ينظر: الغزَالي، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص18.

[106] ينظر: الغزَالي، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص19.

وبئس المصير[107]. سألَ عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه مرَّةً أصحابه: "أرأيتم إنْ استعملتُ عليكم خيرَ مَن أعلم، وأمرته بالعدل، أقضيتُ ما عليَّ؟ قالوا: نعم، قال: لا، حتَّى أنظرَ في عمله، أعملَ ما أمرته أم لا[108]".

كما يجب على الحاكم أن يولي عنايةً خاصَّةً للمقرَّبين منه فهم سببُ نجاحه وكذلكَ هم سببُ فشله، وهم حصنهُ من الْأَعْدَاء وجنَّته من الأسواء؛ لذا أوصى العلماء بالاهتمام بشأنهم كثيرًا[109]؛ فهم يُساءلونَ وبدقَّةٍ متناهيةٍ، ويُراجَعون في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ؛ لأنَّ العيونَ مسلَّطةٌ عليهم، وهم على اتِّصالٍ مباشرٍ بالرَّعيَّة، فلا بدَّ من تفقُّد أحوالهم وتقويم زيفهم، فمَن أحسن قُرِّب، ومن أساء أُبعد[110].

ويفترض عليه أيضًا أن يعتني بإصلاح أخلاقهم وتهذيبها وتدريبهم على العدل مع النَّاس، وتأهيلهم حتَّى يكونوا مساعدينَ ومعاونينَ وناصحينَ أمينينَ[111]؛ فإن عجزَ عن إصلاحهم فهو على العامَّةِ أعجز، يقول الإمام الغزاليُّ رحمه الله تعالى: "إذا كان الملك عاجزًا عن إصلاح خواصِّه ومنعهم عن الظُّلم، فكيف يقدر على ردِّ العوام الى الصَّلاح[112]".

رابعًا: عدمُ التَّكبرِ والغضبِ:

التَّكبرُ: "حقيقتهُ: استعظامُ النَّفس واحتقارُ الغير، وسببهُ: علوُّ اليدِ والتَّمييزُ بالمنصب والنَّسبِ أو الفضلِ[113]".

لقد جعلَ الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى عدمَ التَّكبر مِن قَواعد العدلِ والإنصاف؛ لأنَّ التَّكبُّرَ يحدثُ السَّخطَ الدَّاعيَ إلى الانتقام[114].

يقول الباحثُ: إنَّ التَّكبرَ من الولاةِ وأقربائهم ومعارفهم كثيرًا ما ولَّد النِّقمة في نفوس أبناء الأمَّة، وجرحَ مشاعرهم، وكسرَ خواطرهم، وكما هو معلومٌ ومقرَّرٌ أنَّ التَّكبرَ ممَّا يوغرُ الصُّدور ويوجبُ النُّفور، والحقيقةُ المشاهدةُ اليومَ والَّتي لا لبسَ فيها أنَّ الرِّجالَ البُسطاءَ، والشَّبابَ الأتقياء، والنِّساءَ الطَّاهرات، والأمَّهاتِ العفيفات، يعيشونَ في المجتمع، ويقدِّمون كلَّ ما يستطيعونَ في سبيل عزَّة الوطن وقوَّته وازدهاره، ولكن عندما يرونَ بأنَّ مَن يحكُمهم يتكبَّر عليهم، ويذلُّهم، فهذا سيؤدِّي تلقائيًّا ودون شعورٍ منهم إلى خفضِ الإنتاج، وإضعافِ الهمَّة، وإخمادِ روح النَّشاط، وزرعِ بذور الحقدِ والانتقام، الَّتي لا تلبث أن تصبحَ شررًا يتطايرُ في وجه أولئكَ المتكبِّرينَ المغرورينَ. وكم سمعنا عن مشكلاتٍ حصلتْ بين أحدِ أبناء المسؤولين وإنسانٍ فقير، تكبَّر ابنُ الأكرمين عليهِ بسلطته وماله، فأذلَّه

---

[107] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص22-23.

[108] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **السُّنن الكبرى**، رقم16432، ج8، ص163.

[109] ينظر: الماوردي، علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب، **درر السُّلوك في سياسة الملوك**، ص102.

[110] ينظر: الوزير، الحسين بن علي بن الحسين، **السِّياسة**، ص49.

[111] ينظر: الغزَالي، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص22.

[112] **المصدر نفسُه**، ص75.

[113] ينظر: الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص419.

[114] ينظر: الغزَالي، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص23.

وأهانه؛ ممَّا جعل أقرباءَ ومعارفَ ذلك الفقير يكرهون المسؤول وأولاده، ويتمنَّون نهايته وزواله؛ فالكبرُ عندما يتجاوز الحدَّ إلى البغي والطُّغيان، يسلب الدِّين ويُفسد الإيمان، ويخفض المنزلة، ويحطُّ الرَّتبة، وما ذلك إلا لأنَّه "يطمسُ من المحاسنِ ما انتشر، ويسلبُ من الفضائل ما اشتهر[115]"، وقد وردَ في الحديثِ القدسيّ: «قال الله عزَّ وجلَّ: العِزُّ إزاري والكِبرياءُ ردائي، فمَن نازعني واحدًا منهما، قذفتهُ في النَّار[116]».

وأمَّا عدمُ الغضب؛ فلأنَّ الغضبَ هوَ عدوُّ العقلِ وآفتُه، فينبغي أنْ يميلَ السُّلطانُ في الأمورِ إلى جانبِ العفو، ويعتادَ على الكرمِ والمسامحةِ، وعندها يُماثلُ الأنبياءَ والأولياء، ومتى صارتْ عادتُه إمضاءَ الغضب فقد ماثلَ السِّباعَ والدَّواب[117]؛ لاسيَّما وقد ركَّب الله الغضبَ في الحيوان؛ ليكون لهُ به الانتقام ممَّن يؤذيهِ ويعتدي عليه، فإذا أنفذَ الحاكم غضبَه في كلِّ أمرٍ فقد شابهَ الحيوانَ وماثلَه، وسُلب عقلُه عن التَّفكير، وصارَ مقطوعَ الحجَّة، قليلَ الحِيلة، لا فرقَ بينه وبين المجنونِ حالَ غضبه؛ لذا صارَ قبيحًا مذمومًا[118].

وقد وردت أحاديثُ عدَّة عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم في التَّحذيرِ من الغضب، والإرشادِ إلى كظمه؛ ومن ذلك:

قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرعة، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملكُ نفسَه عند الغضبِ[119]»، لقد أرادَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بيانَ أنَّ الَّذي يقوى على ضبطِ نفسه عند الغضبِ سواء أكان حاكمًا أم محكومًا هو القويُّ الشَّديدُ؛ لأنَّه استطاعَ أن يغلبَ هواه الَّذي زيَّنه له الشَّيطان المغوي، وقد دلَّ هذا على أنَّ مجاهدةَ النَّفس أشدُّ من مجاهدةِ العدوِّ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام جعلَ لمن يملك نفسَه عند الغضبِ من القوَّةِ ما ليسَ للَّذي يغلبُ النَّاس ويصرَعُهم[120].

وقوله أيضًا: «مَن كظمَ غيظًا وهو قادرٌ على أنْ يُنفذه، دعاهُ الله على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، حتَّى يخيِّره في أيِّ الحورِ شاءَ[121]»؛ فمَن اجترعَ الغضبَ الكامنَ، وصبَر عليه، واحتملَ سببه، وحبسَ نفسهُ عن الرَّدِّ على موجبِ الغضب، وهو قادرٌ على إمضائه، أدخلهُ الله الجنَّة، وأثنى عليه، وتَباهى به بأن يُقال هذا الَّذي صَدرت منه تلك الخصلة

---

[115] الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص420.

[116] مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: البرُّ والصِّلة، باب: تحريم الكبر، رقم2620، ج4، ص2023.

[117] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص24.

[118] ينظر: الشَّيزري، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص401.

[119] البخاري، محمَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم5763، ج5، ص2267، ومسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: البرُّ والصِّلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم2609، ج4، ص2014.

[120] ينظر: ابن بطَّال، علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، ج9، ص296.

[121] أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظا، رقم4777، ج4، ص248، والتِّرمذي، محمَّد بن عيسى، **سنن التِّرمذي**، كتاب: البرُّ والصِّلة، باب: في كظم الغيظ، رقم2493، ج4، ص656، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وابن ماجه، محمَّد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، كتاب: الزُّهد، باب: الحلم، رقم4186، ج2، ص1400.

العظيمة؛ فليختَرْ من الحورِ العينِ أيهنَّ شاء، وسبحانَ الله إذا كان كلُّ هذا الثَّناء والجزاء على مجردِ كظم الغيظ فكيفَ إذا انضمَّ العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه؟![122].

وإذا هجمَ الغضبُ على السُّلطانِ، فينبغي أنْ يُسكنه بحزمه، ويطفئَ نارَه بحلمه؛ حتَّى يَسلم من النَّدم في العواقب، وطرقُ إسكانِ الغضبِ خمسةٌ:

1) أن يذكرَ الله تعالى حالةَ الغضبِ، فإنَّ ذلكَ يدعوهُ إلى الخوفِ منه، والخوفُ يبعثهُ على الطَّاعةِ والعودةِ إلى الجادَّة أو العفو، فيزولُ عنه الغضبُ.

2) أن يتذكَّرَ ثوابَ الله للعافينَ عن النَّاس، وما أعدَّه لهم في الجنان.

3) أن يتذكَّرَ ميلَ النُّفوسِ إليه، وانعطافَ القلوبِ عليه عندما يعفو ويكظمُ غيظه.

4) أن ينتقلَ من الحالةِ الَّتي هو عليها إلى حالةٍ أخرى، فإذا كانَ مثلًا واقفًا قعد.

5) أن يتذكَّر عاقبةَ الغضب ونتيجتَه ومآلَه من ندمٍ وحسرةٍ وندامةٍ.

فهذه الطُّرقُ الخمسةُ إذا تدبَّرها الحاكمُ وتذكَّرها في أوقات الرِّضا كان أحرى أن يتذكَّرها في أوقات الغضب؛ فتحجزه عن إنفاذ الفعل والإفراطِ في الانتقام[123].

خامسًا: عدمُ الرِّضا للرَّعيَّة ما لا يرضاهُ لنفسهِ[124]، وهذهِ قاعدةٌ عظيمةٌ ترشدُ الحاكمَ إلى سبيلٍ يسيرٍ لسلوكِ طريقِ العدل، ألا وهي: يا أيُّها الحاكم، قدِّرْ أنَّكَ واحدٌ من الرَّعيَّة، وأنَّ الواليَ غيرك، فكلُّ ما لا ترضاه لنفسكَ، لا ترضَ به لأحدٍ من النَّاس، فإنْ رضيتَ لهم ما لا ترضاه لنفسك، فاعلمْ حينذاكَ أنَّك غاشٌّ لرعيَّتك، خائنٌ لأمانتك، وصدقَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عندما يقول: «مَا مِن عبدٍ يسترعيه الله رعيَّةً، فيموتُ يومَ يموت وهو غاشٌّ لرعيَّته، إلَّا حرّمَ الله عليهِ الجنَّة[125]»، فبهذا الوعيدِ الشَّديدِ، يخوِّفُ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم مَن قلَّده الله شيئًا من أمرِ المسلمين، واسترعاهُ عليهم، فلم يَعدل بينهم، ولم يتَّق الله فيهم، وأهملَ حدودهم، وضيَّع حقوقَهم، بأنَّه يعتبرُ غاشًّا للأمَّة، والجنَّةُ عليه محرَّمةٌ[126].

سادسًا: قضاءُ حوائجِ النَّاسِ بسُرعةٍ، وعدمُ تحقيرِ أربابِ الحوائجِ، فقضاءُ حوائجِ المسلمينَ أفضلُ من نوافلِ العبادات[127].

قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَا مِن إمامٍ يُغلق بابَه دون ذوي الحاجة، والخلَّة، والمسكنة إلَّا أغلق الله

---

[122] ينظر: القاري، علي بن محمَّد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج8، ص3181.

[123] ينظر: الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص405.

[124] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص24.

[125] مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيَّته النار، رقم142، ج1، ص125.

[126] ينظر: النَّووي، محيي الدِّين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، ج2، ص166.

[127] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص27.

أبوابَ السَّماء دون خلَّته، وحاجته، ومسكنته[128]»؛ أي: مَا مِن ملكٍ أو خليفةٍ أو والٍ يمتنع من الخروج إلى النَّاس الفقراء والضُّعفاء وأصحاب الحاجات عندما يحتاجون إليه، إلَّا أبعدَه الله عمَّا يُريده من الأمور الدِّينيَّة أو الدُّنيويَّة، فلا يجدُ سبيلًا إلى حاجةٍ من حاجاته الضَّروريَّة الأساسيَّة، وقيل المراد باحتجابِ الوالي: أن يمنعَ أصحابَ الحاجاتِ والمهمَّات من الدُّخول عليه وعرض حاجاتهم، واحتجابُ الله تعالى ألَّا يجيبَ دعاءه ويخيِّبَ آماله[129].

يُروى أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز رحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كان يومًا يقضي حوائجَ النَّاس، فجلس إلى الظُّهر وتعبَ، فدخلَ بيته؛ ليستريحَ من تَعبه، فقالَ له ولده: وما الَّذي يؤمِّنك أن يأتيك الموت في هذه السَّاعة وعلى بابكَ منتظرُ حاجةٍ وأنت مقصِّرٌ في حقِّه؟ فقال: صدقتَ؛ فنهضَ وعادَ إلى مجلسه[130].

يقول الباحث: إنَّ الشُّعورَ بالمسؤوليَّة وأهمِّيَّة قضاء حوائج النَّاس على وجه السُّرعة دون تأخيرٍ إنَّما يكونُ عندمَا ينظرُ الملكُ لرعيَّته نظرة الأبِ الشَّفوقِ والأمِّ الرَّحيمة، فيتولَّدُ لديهِ ذلك الإحساسُ الَّذي يدفعهُ للإسراعِ في قضاء حوائجهم، وعدمِ تأخير مآربهم، فهذا خَلْفه أمٌّ مريضةٌ، وذاكَ زوجةٌ مسكينةٌ، وآخرُ بنتٌ حزينةٌ، قد فرَّقتهم البلدان وجمعتهم الأحزان، فقصدوا باب السُّلطان، فإنْ يسَّرَ أمرهم، عظُمت محبَّته في قلوبهم، وإلَّا فقد زرعَ ألمًا عظيمًا وجرحًا كبيرًا، ربَّما تكونُ عواقبُه لا تُحمد، إذا اجتمعَ مع غيره من أسبابِ القهرِ والحرمانِ من ذاك السُّلطان أو أعوانه.

وتجدر الإشارةُ إلى أنَّه حريٌّ بالسُّلطانِ أن يتذكَّر الأمور الآتية حول فضل قضاء حوائج النَّاس:

1) إنَّ قضاءَ حوائجِ النَّاسِ بشكلٍ عامٍّ قربةٌ من أعظمِ القُربِ إلى الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ﴾ (المزمل:20)، فما يفعله المسلمونَ –والملك في مقدِّمتهم– لأنفسهم في دار الدُّنيا مِن صدقةٍ أو نفقةٍ أو كلمةٍ طيِّبةٍ، أو غيرِ ذلك من أعمال الخيرِ في طلب مَا عند الله يجدونه يومَ القيامة في معادهم خيرًا لهم ممَّا قدَّموهُ في الدُّنيا وأعظم منه ثوابًا وأجرًا[131].

2) إنَّ اللهَ يكونُ في عونِ الَّذينَ يقضونَ حوائج النَّاس وييسِّروها عليهم، قالَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَن نفَّسَ[132] عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدُّنيا، نفَّسَ الله عنه كربةً من كربِ يوم القيامة، ومَن يسَّرَ على معسِرٍ، يسَّرَ الله عليه في الدُّنيا والآخرة، ومن سترَ مسلمًا، سترهُ الله في الدُّنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبد ما كانَ العبدُ في عون أخيه[133]».

---

[128] التِّرمذي، محمَّد بن عيسى، **سنن التِّرمذي**، كتاب: أبواب الأحكام، باب: ما جاء في إمام الرَّعيَّة، رقم 1332، ج3، ص611، وقال: حديثٌ غريبٌ.

[129] ينظر: المباركفوري، محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي**، ج4، ص468.

[130] ينظر: الغزَالي، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص27.

[131] ينظر: الطَّبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج23، ص399.

[132] معنى نفَّس: أزالَ. ينظر: النَّووي، محيي الدِّين يحي بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، ج2، ص166.

[133] مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، رقم: (2699)، ج4، ص2074.

ففي قول النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (واللهُ في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيه): إشارةٌ إلى فضلِ مساعدةِ الأخِ لأخيهِ على قضاءِ أموره، وتنبيهٌ على أنَّ المكافأةَ على تلك المساعدةِ تكون بجنسِها من العِناية الرَّبانيَّة والمعونةِ الإلهيَّة؛ سواءٍ كان بقلبه أو بدنه، أو بهما لدفع المضارّ، أو جذبِ المنافع؛ إذ الكلُّ عونٌ[134].

وقالَ أيضًا: «ومَن كانَ في حاجةِ أخيه كانَ الله في حاجته[135]»، فمَن كان ساعيًا في قضاءِ حاجةِ أخيه، يسَّرَ الله له قضاءَ حاجته، وأعانه، وسددَّه[136].

3) إنَّ الَّذينَ يقضونَ حوائجَ النَّاس هم مفاتيحُ للخير مغاليقُ للشرّ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ مِن النَّاس مفاتيح للخير، مغاليق للشَّرّ، وإنَّ من النَّاس مفاتيح للشَّرّ مغاليق للخير، فطُوبَى[137] لمن جعلَ الله مفاتيحَ الخيرِ على يديه، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيحَ الشَّرّ على يديه[138]».

والمقصودُ أنَّ الله تعالى أجرى على أيدي بعض النَّاس قضاءَ حوائج إخوانهم، وفَتْحَ أبواب الخيرِ لهم كالعلمِ وغيرِه؛ حتَّى كأنَّه ملَّكهم مفاتيحَ الخير ووضَعها في أيديهم[139].

4) إنَّ أفضلَ المسلمين هم الَّذين يقضونَ حوائج النَّاس، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «خيرُ النَّاسِ أنفعُهم للنَّاس[140]».

فخيرُ النَّاس وأفضلُهم، هم الَّذين يُحسنونَ للآخرين بمالهم وجاههم وعلمهم، وييسِّروا حاجتهم ويساعدونهم فيما يحتاجون إليه[141].

سابعًا: عدمُ الاشتغالِ بالشَّهوات؛ مِن لبسِ الثِّياب الفاخرة، وأكلِ أطايب الطَّعام[142]، فالمِلكُ مرموقُ

---

[134] ينظر: القاري، علي بن محمَّد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج7، ص3104.

[135] البخاري، محمَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم2310، ج2، ص862، ومسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: البرُّ والصِّلة والآداب، باب: تحريم الظُّلم، رقم2580، ج4، ص1996.

[136] ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج5، ص97.

137 اختلف العلماء في معنى كلمة: (طوبى) على أقوالٍ عدَّة؛ ومنها: الأوَّل: نِعْمَ ما لأصحابها، والثَّاني: غبطةٌ لهم، والثَّالث: حُسنى لهم، والرَّابع: خيرٌ لهم، والخامس: اسم أرض الجنَّة بالحبشيَّة أو الهنديَّة، والسَّادس: شجرةٌ في الجنَّة. ينظر: الطَّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج8، ص434-444.

[138] ابن ماجه، محمَّد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، كتاب: الإيمان وفضائل الصَّحابة، باب: من كان مفتاحًا للخير، رقم237، 86/1، والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعبُ الإيمان**، رقم698، ج1، ص455، قال السَّخاويُّ: "فيه عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، ضعيفٌ"، السَّخاويُّ، محمَّد بن عبد الرحمن، **المقاصدُ الحسنة في بيانٍ كثيرٍ من الأحاديث المشتَهرة على الألسنة**، ص215.

[139] ينظر: السِّندي، محمَّد بن عبد الهادي التَّتوي، **كفايةُ الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، ج1، ص105.

[140] الطَّبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، **المعجم الأوسط**، رقم5787، والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعبُ الإيمان**، رقم7252، 115/10، وقد ذكر السَّخاويُّ بأنَّ له شواهد تقوِّيه، ينظر: السَّخاويُّ، محمَّد بن عبد الرحمن، **المقاصدُ الحسنة في بيانٍ كثيرٍ من الأحاديث المشتَهرة على الألسنة**، ص688.

[141] ينظر: المناوي، زين الدِّين محمَّد عبد الرَّؤوف، **التَّيسير بشرح الجامع الصَّغير**، ج1، ص528.

[142] ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص27.

الألحاظ، محفوظُ الألفاظ، تنتشرُ هفواته، وتشيع زلّاته بسرعةٍ بين أبناء الأمَّة[143]؛ فعليه ألّا يتّبع شهواته، فكما أنَّه يقبُح بالمرء إذا ركبَ الخيلَ[144] أن تجريَ به حيث أرادتْ دونَ أن يكبحها، كذلك يقبح أن يجريَ البدنُ والنَّفسُ بالعقل حيث أراد من الشَّهوات[145].

والملكُ عندما لا يملكُ قهرَ نفسِه عن هواها وهي واحدةٌ، لم يملك ضبط حواسِّه وهي خمسٌ، ومتى لم يملكْ ضبطَ حواسِّه معَ قلَّتها صعُبَ عليه ضبطُ الخاصَّةِ من أعوانه والمقرَّبين والعامَّةِ مع كثرتهم وخشونة جانبهم، ومَن لم يضبط الخاصَّة وهم أمام عينيه لم يضبط العامَّة في أقاصي البلاد وأطراف مملكته، فليسَ من عدوٍ بعد منع النَّفس عن هواها أحقّ بالقهر من الحواسّ الخمس؛ وذلك لأنهنَّ أعوان النَّفس، ودليلها إلى الشَّهوات الموبقة[146].

وقد قيل: "إذا تفرَّغ الْمَلكُ للهوهِ تفرَّغت الرّعيَّةُ لإفساد ملكهِ[147]".

يقول الباحث: إنَّ الملكَ عندما يجعلُ جلَّ اهتمامه إشباعَ بطنه وقضاء وَطَره، فلن يفكرَ في إنصافِ مظلومٍ، ولا في نهضة أمَّةٍ، ولا في رفعةٍ ولا عزَّةٍ؛ وعندها يتحوَّل إلى ملكٍ وضيعٍ عبدٍ لشهواتهِ.

ثامنًا: استعمالُ اللُّطفِ والرِّفقِ في الأمرِ كلِّه، والبعدُ عن الشِّدَّة والغِلظة متى أمكنَ ذلك[148]، فالرِّفقُ ما كانَ في شيءٍ إلَّا زانَه، وما نُزع مِن شيءٍ إلَّا شَانه[149]، وقد قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «اللَّهمَّ، مَن وَلِي من أمرِ أمتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقُقْ عليه، ومَن وَلِي مِن أمر أمتي شيئًا فرفقَ بهم، فارفقْ به[150]».

إنَّ الرِّفقَ من أفضلِ صفاتِ الملكِ وأحمدِ خَلائقه، ويحقِّقُ للملك فوائد ومكاسب لا يحقِّقها العنف، فالرَّعيَّةُ عندما تُعامل بالرِّفق تزولُ أحقادُها ويَسهل قيادها، والعكس صحيحٌ، فعندما يكون العنفُ منهجَ قيادة، تنمو الأحقادُ وتزداد، وتفسدُ البلادُ والعباد؛ فبالرِّفقِ واللِّينِ ينقلبُ العدوُّ صديقًا؛ لكن لا ينبغي أن يستعملَه الملك في جميع المواطن؛ فالأشرارُ يسوسهم بالعنفِ والشِّدَّة، والخواصُّ من الأبرار باللُّطف والرَّحمة، والعامَّةُ باللِّين تارةً وبالشِّدَّة تارةً أخرى[151].

يقول الباحث: إنَّ دعوةَ الإسلامِ قائمةٌ على جعل الرِّفق مبدأً حياةٍ، وتعاملٍ مع الآخرين؛ فعلى الملك

---

[143] ينظر: الماوردي، علي بن محمَّد بن حبيب، **تسهيل النَّظر وتعجيل الظَّفر في أخلاق الملك**، ص58.

144 الخيل: جماعةُ الأفراس لا واحدَ له من لفظه كالقوم والرَّهط والنَّفر. وقيل: مفرده خائل، قاله أبو عبيدة، وهي مؤنَّثةٌ والجمع خيول. سُمِّيت الخيل خيلًا؛ لاختيالها في المشية. والحصان، الذَّكر من الخيل. ينظر: الدَّميري، محمَّد بن موسى بن عيسى أبو البقاء، **حياة الحيوان الكبرى**، ج1، ص431.

[145] ينظر: الطَّرطوشي، أبو بكر محمَّد بن محمَّد، **سراج الملوك**، ص202.

[146] ينظر: الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص185.

[147] الماوردي، **تسهيل النَّظر وتعجيل الظَّفر في أخلاق الملك**، ص139.

[148] ينظر: الغزَالي، **التِبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص28.

[149] مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: البرّ والصِّلة والآداب، باب: فضل الرِّفق، رقم2594، ج4، ص2004.

[150] مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم1828، ج3، ص1458.

[151] ينظر: الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، ص281.

أن يتذكَّر أنَّه مَن يرفق بعبادِ الله يرفق الله به، ومَن يرحمهم يرحمه، ومَن يحسن إليهم يحسن إليه، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[152] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قَالَ لَهَا: «يا عائشة، ارفقي، فإنَّ الله إذا أرادَ بأهل بيتٍ خيرًا دلَّهم على باب الرِّفق[153]»، وجاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: يا رسولَ الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثمَّ أعاد عليه الكلام، فصمت، فلمَّا كان في الثَّالثة، قال: «اعفوا عنه في كلِّ يومٍ سبعين مرة[154]».

تاسعًا: الاجتهادُ في طلبِ رضاءِ الرَّعيَّة بموافقة الشَّرع[155]. قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «خيار أئمَّتكم الَّذين تحبُّونهم ويحبُّونكم ويصلُّون عليكم وتصلُّون عليهم وشرار أئمَّتكم الَّذين تُبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم[156]».

يخبرُ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أبناء أمَّته بخبرٍ فيه صلاحهم وسعادتهم ونجاتهم بقوله: إنَّ خيار ولاتكم وأئمَّتكم الَّذين يعدلون في الحكم، فتنعقد بنيكم وبينهم المودَّة والمحبَّة؛ فتحبُّونهم ويحبُّونكم ما دمتم في قيد الحياة، فإذا جاء الموت يترحَّم بعضكم على بعضٍ ويذكرُ صاحبه بخيرٍ، وشرارُ الأئمَّة الَّذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم؛ أي: تدعون عليهم ويدعون عليكم أو تطلبون البعد عنهم؛ لكثرة شرِّهم ويطلبون البعدَ عنكم؛ لقلَّة خيركم[157].

ويقترحُ الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى على السُّلطانِ إذا أرادَ أن يعرفَ موقف الشَّعب منه، هل هم راضون عنه أم لا؟ أن يكونَ له معتَمدون، يسألون عن حاله من الرَّعيَّة؛ حتَّى يعلم عيبهُ من ألسنة النَّاس مباشرةً، دون الحاجةِ إلى وسيطٍ قد يصدق وقد يكذب[158].

عاشرًا: عدمُ طلبِ رضا أحدٍ من النَّاس بمخالفة الشَّرع[159]، فأكثرُ النَّاس جهلًا هو الَّذي يتركُ الحقَّ لأجلِ رضا الخلق، وقد ورد أنَّ معاويةَ رضي الله عنه، كتبَ إلى عائشةَ رضي الله عنها: "إنِّي لأصبحُ ونصفُ

---

152 عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، أمُّها أمُّ رومان بنت عامر، ولدت بعد الهجرة بأربع سنين أو خمس، ثبت في الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم تزوَّجها وهي بنت ست وقيل سبع، ودخل بها وهي بنت تسع، وكانت تكنَّى بأمِّ عبد الله، ولم ينكح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بكرًا غيرها، ماتت سنة 58 هـ، ودفنت بالبقيع رحمها الله تعالى. ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصَّحابة**، ج8، ص231.

153 أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، رقم24734، ج41، ص255، قال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيحِ"، الهيثمي، نور الدِّين علي بن أبي بكر، **مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد**، ج8، ص19.

154 أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، كتاب: الأدب، باب: في حق المملوك، رقم5164، ج2، ص763، قال الهيثمي: "رجاله ثقاتٌ"، الهيثمي، نور الدِّين علي بن أبي بكر، **مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد**، ج4، ص238.

155 ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص28.

156 مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: خيار الأئمَّة وشرارهم، رقم1855، ج3، ص1481.

157 ينظر: القاري، علي بن محمَّد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج6، ص2395.

158 ينظر: الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص28.

159 ينظر: **المصدر نفسُه**، ص28.

الخلق عليَّ ساخطٌ"، فكتبتْ إليه تقول: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «مَن طلب رضا الله تعالى في سخط النَّاس رضيَ الله عنه وأرضى عنه النَّاس، ومن طلبَ رضا النَّاس بسخَط الله تعالى سخط الله عليه وأسخطَ الخلق عليه[160]».

يقول الباحث: إنَّ مَن سخطَ بخلاف الشَّرع فلا يضرُّ سخطه؛ وبشكلٍ عامٍّ فإنَّه لا بدَّ لكلِّ مَن يؤخذُ منه الحقُّ ألَّا يكون راضيًا، وأن يكون سَاخطًا، وأنَّ له الرِّضا وقد نَزع منه الحاكمُ أرضًا اغتصبها، أو سيارةً سرقها، أو حقًّا طمسه، أو عرضًا انتهكه.

[160] التِّرمذي، محمَّد بن عيسى، **سنن التِّرمذي**، كتاب: الزُّهد، باب: ما جاء في حفظ اللِّسان، رقم2414، ج4، ص609، قال الهيثميُّ: "رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ الْجُفْرِيِّ، وَقَدْ وَثَّقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي آخِرِ تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ الْجُعْفِيِّ"، الهيثمي، نور الدِّين علي بن أبي بكر، **مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد**، ج10، ص224.

الخاتمة

أوَّلًا: النَّتائج:

1. يعدُّ السُّلطانُ عند الإمام الغزاليّ خليفةَ الأنبياءِ في إصلاحِ الخلائق، ودعوتهم إلى عبادة الرَّحمن، ولا منزلةَ فوقَ السُّلطانِ العادلِ إلَّا منزلة النَّبيّ المرسل أو الملَك المقرَّب.

2. ينقسمُ العدلَ عند الإمام الغزاليّ ثلاثةَ أقسامٍ: العدلُ في مملكةِ البدنِ، والعدلُ في أخلاقِ النَّفسِ، والعدلُ في المعاملةِ.

3. الضَّابط الكليُّ الَّذي يجمع شتات العدل ويبيّن مقصودَه عند الغزاليّ: أَلَّا يحبَّ لِأَخِيهِ إِلَّا مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَكُلُّ مَا لو عوملَ به شقَّ عَلَيْهِ وَثَقُلَ عَلَى قَلْبِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُعَامِلَ غَيْرَهُ بِهِ.

4. قواعدُ العدل والإنصاف عند الإمام الغزاليّ: معرفةُ الحاكمِ قدْرَ الولايةِ وخطورةَ أمرها، والتَّقرُّبُ من العُلماءِ الصَّالحينَ النَّاصحينَ وسماع آرائهم، ورفعُ ظلمِ الولاةِ عن الشَّعب، وعدمُ التَّكبرِ والغضبِ، وعدمُ الرِّضا للرَّعيَّة ما لا يرضاهُ لنفسهِ، وقضاءُ حوائجِ النَّاسِ بسُرعةٍ، وعدمُ تحقيرِ أربابِ الحوائجِ، وعدمُ الاشتغالِ بالشَّهوات، واستعمالُ اللُّطفِ والرِّفقِ في الأمرِ كلِّه، والاجتهادُ في طلبِ رضاءِ الرَّعيَّة بموافقة الشَّرع.

5. العاملُ الأساسُ عند الإمام الغزاليّ في نموِّ الدَّولة وازدهارها هو العدلُ؛ فبإقامته يتحقَّقُ كلُّ خيرٍ، وبفقدهِ تحلُّ الآفاتُ والشُّرور، وتخرب الأمم والبلدان، ويشقى الإنسان.

ثانيًا: التَّوصيات:

أوَّلًا: يوصي الباحثُ بتشكيلِ لجانٍ علميَّةٍ على مستوى العالم الإسلاميّ؛ لبثِّ الوعيّ ونشرِ الفكر المعتدلِ ومواجهة التَّطرُّف والإرهاب؛ بناءً على آراءِ الأئمَّة المعتَبرينَ كالإمام الغزاليّ رحمه الله وغيره، ومتابعةِ الحوادث الطَّارئة في حياة الأمَّة وبيانِ التَّوصيف الصَّحيح لها وإعطائها الحكم المناسب؛ بعيدًا عن الأهواء والميول والتَّأثيرات الَّتي تمارسُ عادةً.

ثانيًا: إنشاءُ مراكز علميَّةٍ ثقافيَّةٍ تربويَّةٍ تُعنى ببيان المفاهيم العامَّة عند الأئمَّة وخصوصًا العدل، ونشر مبادئهم، وعرض أفكارهم وآرائهم؛ لتخريجِ طلَّابٍ يتمتَّعون بالوعي والاتِّزان، والذَّكاء وقوَّة الحجَّة وسعة الأفق.

ثالثًا: إقامةُ دوراتٍ تثقيفيَّةٍ وبرامج حواريَّةٍ حولَ أعلامِ الفكرِ الإسلاميّ الَّذين تعدَّدت جوانبُ نبوغهم وتنوَّعت ثقافاتُهم؛ وفي طليعتهم الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى.

رابعًا: العملُ على نشر ثقافة العدل، وإعطاء الحقوق لأصحابها، وتربية الأطفال على ذلك؛ حتَّى يترسَّخ في الأذهان أن أساس البناء هو العدل.

خامسًا: يقترحُ الباحثُ إجراءَ البحوث الآتية:

1. تحقيق كتاب: (**التِّبرُ المسبوكُ في نصيحةِ الملوكِ**) للإمام الغزاليّ في دراسةٍ علميَّةٍ أكاديميَّةٍ.
2. قواعدُ الإصلاح عند الإمام الغزاليّ من خلال كتابه: (**إحياء علوم الدِّين**).

3. البعدُ الأخلاقيُّ للفكرِ السِّياسيِّ الإسلاميِّ عند أبي حامدٍ الغزاليّ.

4. مكانةُ الإمامِ الغزاليّ في علمِ أصولِ الفقهِ.

وأخيرًا أسألُ الله سبحانه الله وتعالى أن يتقبَّلَ صالحَ هذا العمل، ويعفوَ عمَّا حواهُ من خطأٍ وزللٍ؛ إنَّه أكرمُ من أعطى وأجودُ من سُئل، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعينَ.

فهرس المصادر والمراجع

- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: الرِّسالة، ط2، 1420هـ/1999م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، (بيروت: ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407هـ، 1987م).
- بدوي، عبد الرَّحمن، **مؤلَّفات الغزالي**، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط2، 1399هـ/1977م).
- ابن بطَّال، علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرِّياض: مكتبة الرُّشد، ط2، 1423هـ/2003م).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **السُّنن الكبرى**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1413هـ/1992م).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعبُ الإيمان**، تحقيق: أبو هاجر محمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط1، 1410هـ/1990م).
- التِّرمذي، أبو عيسى محمَّد بن عيسى، **سننُ التِّرمذي**، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ/1975م).
- ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي، **الثَّبات عند الممات**، تحقيق: عبد الله اللَّيثي الأنصاري، (بيروت: مؤسَّسة الكتب الثقافيَّة، ط1، 1406هـ/1986م).
- ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط1، 1412هـ/1992م).
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ترقيم: محمَّد فؤاد عبد الباقي، تحقيق: محبُّ الدِّين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1379هـ/1960م).
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصَّحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمَّد معوَّض، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط1، 1415هـ/ 1995م).

- أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن الإسلاميَّة**، (عمَّان: دار أسامة، د.ط، د.ت).
- الحموي، ياقوت شهاب الدِّين، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ط2، 1415هـ/1995م).
- ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن محمَّد، **ديوانُ المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشَّأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1408هـ، 1988م).
- ابن خَلِّكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، 1392هـ/1972م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، د.ت).
- الدَّميري، محمَّد بن موسى بن عيسى أبو البقاء، **حياة الحيوان الكبرى**، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط2، 1424هـ/2004م).
- الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط1، 1423هـ/ 2003م).
- الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **تذكرة الحفَّاظ**، (بيروت: الرِّسالة، ط3، 1419هـ/ 1998م).
- الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **سِير أعلام النُّبلاء**، تحقيق: مجموعةٌ من المحقِّقين بإشراف شعيب الأرناؤوط، (بيروت: الرِّسالة، ط3، 1405هـ/ 1985م).
- الذَّهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان، **العِبر في خبر من غبر**، تحقيق: صلاح الدِّين المنجِّد، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1380هـ/1960م).
- الرَّازي، فخر الدِّين محمَّد بن الحسن بن الحسين، **مفاتيحُ الغيب**، (بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ، ط3، 1420هـ/2000م).
- الزَّبيدي، محمَّد بن محمَّد الحسيني، **إتحاف السَّادة المتَّقين**، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط4، 1429هـ/2009م).
- الزُّحيلي، وهبة، **الفقه الإسلامي وأدلته**، (دمشق: دار الفكر، ط12، د.ت).
- ابن السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقيّ الدِّين، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، تحقيق: محمود محمَّد الطَّناحي، وعبد الفتَّاح محمَّد الحلو، (السُّعودية: دار هجر، ط2، 1413هـ/1993م).
- السَّخاويُّ، محمَّد بن عبد الرحمن، **المقاصدُ الحسنة في بيان كثيرٍ من الأحاديث المشتَهرة على الألسنة**، تحقيق: محمَّد عثمان الخشت، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ/1985م).
- السِّندي، محمَّد بن عبد الهادي التَّتوي، **كفايةُ الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، (بيروت: دار الجيل، ط2، د.ت).

- شامي، يحيى، **موسوعة المدن العربيَّة والإسلاميَّة**، (بيروت: دار الفكر العربي، ط1، 1413هـ/1993م).
- الشَّيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: علي عبد الله الموسى، (الزرقاء: مكتبة المنار، ط1، 1407هـ/1987م).
- الصَّفدي، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله، **الوافي بالوفَيَات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، د.ط، 1420هـ/2000م).
- الصَّلَّابي، علي محمَّد، **دولةُ السَّلاجقة**، (القاهرة: دار ابن الجوزي، د.ط، 1427هـ/2006م).
- ابن الصَّلاح، عثمان بن عبد الرَّحمن، **طبقات الفقهاء الشَّافعيَّة**، تحقيق: محيي الدِّين علي نجيب، (بيروت: دار البشائر الإسلاميَّة، ط1، 1413هـ/1992م).
- الطَّبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله أبو محمَّد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، د.ط، 1415هـ/1995م).
- الطَّبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، (السُّعودية: دار هجر، ط1، 1422هـ/2001م).
- الطَّرطوشي، أبو بكر محمَّد بن محمَّد، **سراج الملوك**، (مصر: أوائل المطبوعات العربيَّة، د.ط، 1289هـ/1872م).
- عتر، نور الدِّين، **منهج النَّقد في علوم الحديث**، (دمشق: دار الفكر، ط3، 1401هـ/1981م).
- ابن العربي، محمَّد بن عبد الله المالكي، **قانون التَّأويل**، تحقيق: محمَّد السُّليماني، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1411هـ/1990م).
- ابن عساكر، أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن هبة الله، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1415هـ/1995م).
- العفيفي، عبد الحكيم، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، (بيروت: أوراق شرقية، ط1، 1421هـ/2000م).
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد، **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1406هـ/ 1986م).
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة**، (السُّعوديَّة: دار عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م).
- الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **إحياءُ علوم الدِّين**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط،

1431هـ/2010م).

- الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، تحقيق: أحمد شمس الدِّين، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط1، 1409هـ/1988م).
- الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **المنقذ من الضَّلال**، تحقيق: عبد الحليم محمود، (مصر: دار الكتب الحديثة، د.ط، د.ت).
- الغزَالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، **ميزان العمل**، تحقيق: سليمان دنيا، (مصر: دار المعارف، ط1، 1384هـ/1964م).
- الفيروز آبادي، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التُّراث في مؤسسة الرِّسالة بإشراف محمَّد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرِّسالة، ط8، 1426هـ/2005م).
- الفيُّومي، أحمد بن محمَّد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير**، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، د.ط، 1915هـ/1994م).
- القاري، علي بن محمَّد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1422هـ/2002م).
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد، **طبقات الشَّافعيَّة**، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ/1987م).
- القرطبي، محمَّد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامعُ لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصريَّة، ط2، 1384هـ/ 1964م).
- الكاشاني، عبد الرَّزَّاق، **معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة**، تحقيق: عبد العال شاهين، (القاهرة: دار المنار، ط1، 1413هـ/1992م).
- ابن كثيرٍ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، (الرِّياض: دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م).
- الكندري، لطيفة حسين، وملك، بدر محمَّد، **التَّعليقة التَّعليميَّة بين عمق الأصالة وآفاق المعاصرة**، (د.م، د.ط، 1435هـ/2014م).
- ابن ماجه، أبو عبد الرَّحمن محمَّد بن يزيد القزويني، **سننُ ابن ماجه**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيَّة، د.ط، د.ت).
- الماوردي، علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب، **أدب الوزير**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1414هـ/1994م).

- الماوردي، علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب، **تسهيل النَّظر وتعجيل الظَّفر في أخلاق الملك**، تحقيق: محيي هلال السَّرحان، (بيروت: دار النَّهضة العربيَّة، ط1، 1401هـ/1981م).
- الماوردي، علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب، **درر السُّلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، (الرِّياض: دار الوطن، ط1، 1417هـ/1997م).
- المباركفوري، محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي**، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، د.ط، د.ت).
- مسلم، مسلم بن الحجَّاج القشيري، **المسندُ الصَّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم= صحيح مسلم**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، د.ط، د.ت).
- المناوي، زين الدِّين محمَّد عبد الرَّؤوف، **التَّيسير بشرح الجامع الصَّغير**، (الرِّياض: مكتبة الإمام الشَّافعي، ط3، 1408هـ/1988م).
- ابن منظور، جمال الدِّين محمَّد بن مكرَّم بن علي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ/1996م).
- النَّووي، محيي الدِّين يحي بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، (بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، ط2، 1392هـ/1972م).
- الهيثمي، نور الدِّين علي بن أبي بكر، **مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد**، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، د.ط، 1407هـ/1988م).
- الوزير، الحسين بن علي بن الحسين، **السِّياسة**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، (الإسكندريَّة: مؤسَّسة شباب الجامعة، ط1، د.ت).